الفصل الأول

تحديد موقع الإسلام فى الفضاء السيبرى

هناك شعور بهوية إسلامية خاصة مرتبطة بجوانب الفضاء السيبرى. يمكن أن تكون هذه الجوانب مجالات مصممة خصيصًا للمسلمين أو مجالات ويب عامة ذات بصمة إسلامية. ويمكننا مقارنة الفرق بين المحتوى الإسلامى على موقع الشبكات الاجتماعية Myspace، والمحتوى العام على نظيره الإسلامى Muslimspace. يقدم كل من موقع IslamicTube وIslamicTorrents مشاركة الفيديو وتوزيعه على غرار نظيريهما غير الإسلاميين. فهل هذا الشعور بالانفصال يؤثر على كيفية تعامل غير المسلمين مع البيئات الإسلامية السيبرية؟

كما هو الحال مع المناطق الأخرى التى تحظى باهتمام خاص على شبكة الإنترنت، فإن بعض مجالات البيئات الإسلامية السيبرية أكثر انفتاحًا من غيرها بصورة واضحة. لكن قد يكون من الابتذال الإشارة الضمنية إلى أنه، بالنسبة لبعض جوانب الإسلام، قد يؤدى الانفتاح على الإنترنت إلى مزيد من التفاهم والتعاطف من غير المسلمين. سعت بعض المواقع للقيام بذلك عن طريق وضع تفسيرات للممارسات الدينية فى مواقعها على الإنترنت. فى الواقع، قد يكون تفسير ممارسة الشعائر أقل قيمة لغير المسلمين من رؤية مناطق أخرى عادية وطبيعية من الخطاب الإسلامى على شبكة الإنترنت، كما فى داخل مواقع تكوين الشبكات الاجتماعية.

سهلت هذه التطورات، وعلى عدد من المستويات، عملية إعادة ربط شبكات دار

الإسلام ببعضها، مما يتيح للإنترنت دوراً محورياً فى بنيات شبكات المسلمين والتعبير الإسلامى. ولا تخلو عملية إعادة تركيب البنية من جوانبها المضطربة، لكن يمكنها أن تسمح بقدر أكبر من الكفاءة من خلال عُقد إحدى الشبكات. قد يدخل فى عملية "الربط" نفسها العديد من التقنيات والأشكال على مستويات الأفراد والجماعات والمؤسسات، بعضها تعاونى ويتم إجراؤه من خلال شبكات الأنداد. من ناحية الفاعلية، قد يكون الربط لاسلكيًا أيضًا، ليسمح بالمزيد من الحركة واختيار الواجهات.

يمكن للأفراد، من خلال هذه العملية التحولية، اكتساب تفاصيل جديدة من المعرفة الدينية، وتسهيل شكل من أشكال المعرفة بالقراءة والكتابة الإسلامية التى تتطلب الإلمام بمجموعة من قواعد البيانات ومصادر المعلومات. ويميز أوقاتنا هذه

كثير من الإبداع، ليس فقط بالنسبة للباحثين ولكن أيضًا للمتجولين خلال المعرفة الدينية بأشكالها المختلفة. قد يتساءل المرء عما إذا كانت تلك التحولات تمثل أشكالاً جديدة من التجربة الدينية الأكثر تعقيداً وعزلة من تجربة الالتحاق "بمدرسة" دينية، والتي قد تكون بعيدة عن متناول العديد من متصفحي الإنترنت.

تتطور مجموعات وارتباطات جديدة على الإنترنت تتجاوز الحدود التقليدية، وتُستَمَدُّ من الهويات المتعددة بحيث تتحدى أوجه الفهم التقليدية للهوية الإسلامية وتُطفِّرها وتُحوِّل بذلك العناصر المألوفة داخل الواجهة الرقمية. توفر البيئات الإسلامية السيبرية الفرص لهؤلاء الذين ينتمون إلى خلفيات مسلمة غير تقليدية للترويج لرؤيتهم الخاصة للعالم. جذبت هذه التحديات للوضع القائم الاهتمام من المؤسسات التقليدية، التي سعى بعضها إلى حظر مثل هذه المواقع بدرجات متفاوتة من النجاح. استهدفت المؤسسات الحكومية آليات الجدل وخلق الهوية على الإنترنت نفسها على أساس أنها آليات قد تؤدى إلى التخريب، بعد إخفاقها فى فرض الرقابة أو تنظيم الآراء والأنشطة التى تتعارض مع سياساتها على الإنترنت.

غالبًا ما تعكس أساليب استخدام الإنترنت فى السياقات الإسلامية الطرق التى يُستَخْدَمُ بها ذلك الوسيط بوجه عام. فالقيل والقال والشائعات والغمز واللمز ونظريات المؤامرة لها مكانها فى البيئات الإسلامية السيبرية أيضًا. ولابد أن نظريات المؤامرة قد ظهرت فى غرف الدردشة وغيرها. فعلى سبيل المثال، وفى أعقاب كارثة تسونامى فى ٢٠٠٤ وإعصار كاترينا فى ٢٠٠٥، صرح أحد مستخدمى الإنترنت بقوله "ضرب الله شواطئ الفجور والعرى والدعارة"، وكتب آخر أن "الله يحذر البشر من إدامة الظلم"، فى حين بَشَّرَ ثالث بـ"قدوم الخلافة الإسلامية".

الويب أيضًا فضاء يجتمع فيه الأفراد والجماعات المسلمة فى وقت الأزمات. شهدت تفجيرات ٧/٧ فى لندن سرعة إصدار المنظمات الإسلامية فى المملكة

المتحدة البيانات على الإنترنت التى تدين تلك الهجمات. كانت فورية ردود الفعل هذه ذات مغزى لأن لاعبى الميديا الآخرين، مثل إعلام التيار الرئيسى ومحطات البث الأخرى، استخدمت ما جاء فى تلك المواقع فى التحقيقات التى أجرتها. يشير هذا ضمنًا إلى أن محتوى بعض المواقع يستهدف جمهورًا متنوعًا، سواء كان مسلمًا أو غير ذلك، وأن وضع ما يجىء فى مواقع إسلامية معينة فى الميديا السائدة يعد من الممارسات المقبولة.

قد يزور المتصفحون تلك المواقع التى تعكس حسهم بالهوية الدينية والسياسية والثقافية؛ بل قد يجعلون زياراتهم سرًا لا يفشونه لأصدقائهم أو عائلاتهم خوفًا من أن تتحدى مثل هذه الزيارات الأفكار التقليدية حول الهوية والقيم الدينية. يتيح عدم الكشف عن الهوية الذى يسمح به الإنترنت التواجد سرًا فى مواقع دون الكشف عن أية هوية حقيقية. وتسمح الأقنعة الافتراضية بسبر أغوار أفكار جديدة من التعبير والروابط الدينية، مما قد يكون له علاقة بعالم المتصفح غير الرقمى أو لا يكون له أية علاقة به.

يثير هذا قضايا المواقع الفيزيقية، سواء موقع المتصفح أو أصحاب الموقع، وما يمكن وصفه بالقدرة على التعامل مع الويب الإسلامى. تقدم الوسائط المتعددة لقاءات دينية تتخذ أشكالاً مختلفة، بعضها يتعلق بالتفاعل مثل التواصل مع عَالِم أو باحث من سياق أو ثقافة أو مجموعة لغوية مختلفة. يقدم الويب تأثيرات وخبرات جديدة، رغم أن النقاد قد يوحون بأنها ليست جميعًا مفيدة للقراء والمستهلكين والمجتمعات. قد تشمل هذه التأثيرات التعرض لمصادر بديلة للمرجعية الدينية. وقد تحتوى هذه المواقع على الويب على نصوص تفسيرية ومقاطع فيديو عن تجارب دينية، وفتاوى على شبكة الإنترنت تعطى طرقًا مبتكرة لطقوس المرور، وبيانات توفّر المبرر لولاءات بديلة تجاه المرجعية الدينية. يمكن أن توفر بوابة واحدة حافزًا كافيًا من خلال حزمة كاملة من الأنشطة الدينية والإرشاد والوعظ والخطب، والمصادر، والحوار.

أُدرِك أن ثمة مسلمين الآن يشرحون رؤيتهم للعالم بناء على التماهى مع موقع إسلامى محدد على الويب، بدلاً من مسجد محلى معين أو شبكة دينية. يمثل هذا فى حد ذاته تحولاً جذريًا فى بؤرة الاهتمام، بينما لا ينفى مفاهيم الفضاء المقدس والسلطة الدينية التقليدية. فى بعض الحالات، تشير مثل هذه المقاربات ضمنيًا إلى تنامى النظرتين التقليدية والمعاصرة وانصهارهما معًا.

فى حالات أخرى، يزيل موقع ما احتمالية تجزئة الدين إلى مصنفات منغلقة، فى وجود فرصة لبعض المتصفحين أن يختاروا الارتباط دائمًا بمسجدهم أو رؤيتهم للعالم عن طريق الحفاظ على ثبات المتصفح على موقع معين. يعنى الربط من خلال قوائم البريد الإلكترونى وخلاصات الآر إس إس (مختلف أشكال الخلاصات المشتقة من الويب التى قد تكون موجودة فى المدونات والبودكاست ومحتوى الويب الذى يجرى تحديثه بانتظام كمواقع الأخبار) أن الإسلام يمكن أن يكون "متصلاً بالشبكة دائمًا"، ليس فقط من حيث الكلمات والأفعال اليومية ولكن من خلال إضافة تنبيهات جديدة خاصة بالمحتوى والتواصل بالشبكات. توسعت أجهزة المساعدة الرقمية الشخصية (أجهزة المساعد الرقمى الشخصى) وأجهزة بلاكبيرى والهواتف المحمولة فى فرص تلقى التنبيهات بالتحديثات والمعلومات الدينية. هناك إمكانية لأن يخترق هذا الخصوصية بشكل مبالغ فيه. وبينما يرى المؤمنون أن الإسلام فى حد ذاته يجب أن يكون "دائمًا متصلاً" بالحياة اليومية وغير منفصل عنها، تشير المصادر الإسلامية ضمنيًا أيضًا إلى أن بعض الانغلاق داخل مصنفات بعينها لممارسة الشعائر ضرورى لتحقيق المسيرة الوظيفية فى المجتمع – فالإسلام، وفقًا للقرآن، "دين يُسْر".

تذكر المصادر الإسلامية عن سيرة النبى محمد (ص) كيف تفاوض النبى أثناء الإسراء مع النبى موسى على عدد الصلوات اليومية من خمسين صلاة فى اليوم الواحد إلى خمس صلوات بحيث يتمكن الناس من ضبط حياتهم الطبيعية حول

الأنشطة الدينية. ولابد من تحديد إلى أى مدى يتصل المسلمون الافتراضيون دائماً بالإنترنت ويتفهمون المحتوى الدينى. السؤال الحاسم هنا هو إلى أى مدى بات استخدام شبكة الإنترنت لأغراض إسلامية فريضة دينية بالنسبة للبعض؟ يوضح هذا الكتاب أن هناك الكثير من الناس ممن يمثل بقاؤهم على شبكة الإنترنت فى سبيل الله فريضة أو التزاماً. تظل كيفية تفسير هذا ورصده أمرا مطروحا للتساؤل.

وجدت المرجعيات الدينية الإسلامية سبلاً يمكن من خلالها تطبيق الإنترنت كشكل من أشكال التنظيم داخل المجتمعات. وفى أحد الأمثلة الصارخة على ذلك، سَخَّرَت هيئة الأمر بالمعروف السعودية بالمدينة المنورة الإنترنت للسماح للمتصفحين بإرسال تقارير مجهولة المصدر عما يرونه تجاوزات دينية داخل مجتمعهم عبر أحد المواقع على شبكة الإنترنت. يمكن أن توجد علاقة معقدة بين الممارسات الدينية النموذجية والابتكار التقنى بحيث يوازن أحدهما الآخر. وتصبح قضايا مثل المواقع الفيزيقية، سواء بالنسبة للمستخدم النهائى أو أصحاب الموقع، قضايا ذات أهمية. هناك طرق انسيابية بحيث يجد المستخدمون من خلالها أنفسهم موجودين على سيرفر، منفصلين عن قيود فضائهم الفيزيقى، بل ويحتمل لهم أن يكونوا بعيدين عن الرقابة والرصد.

من المرجح أن تختلف علاقة كل متصفح بمُقدّم المحتوى. يحتمل أن تكون المحتويات مقدمة لقضايا محددة ذات مرجعية دينية، أو يمكنها أن تعمل بمثابة أداة لتعزيز الأنماط وأشكال الفهم القائمة أو كليهما. لا يُشَجِّع الابتكار بالضرورة فى بعض السياقات الإسلامية. شجعت نفس هذه المقاومة للتغيير أيضًا المرجعيات الدينية الأخرى على الاتصال بالإنترنت لمواجهة التأثيرات التى تعدها سلبية بطبيعتها. وبأساليب معينة، تتصدى هذه المرجعيات للمقاربات التعاونية المبنية على الويكى للمجموعات ذات الإلمام بالنت التى تسعى إلى التعبير عن مناهج تأويلية

"جديدة" للإسلام تتحدى التراتبية التقليدية. قد يطور المتصفحون أشكال فهم جديدة وما يترتب عليها من انتماءات من خلال القدرة على القراءة والكتابة على الويب إلى جانب اتساع نطاق قواعد البيانات الإسلامية ومصادر المعلومات المتاحة.

اللغة التي يُعَبَّر بها عن هذا مفتوحة على التهجين، وهي تعكس لغة الشارع إلى جانب المصطلحات الدينية. ويَصْدُقُ هذا بوجه خاص في غرف الدردشة، حيث يستخدم المشاركون في وضع المحادثة أعراف الإنترنت ولغة الهواتف المحمولة الدارجة. وربما تكون الأيقونة هي وجه مبتسم لفتاة ترتدي الحجاب. يبين داڤيد كريستال في تحليل له عن تأثير الإنترنت على اللغة، والعكس أن – "أنبياء الشؤم" يَظْهرون في كل مرة تؤثر فيها تقنية جديدة على اللغة بطبيعة الحال. تجمع هؤلاء الأنبياء عندما اخْتُرعت الطباعة في القرن الخامس عشر". يرى كريستال أنه لابد وأن يكون من مصادر "غبطة" اللغويين قدرة شبكة الإنترنت على أنه "تستكشف قوة اللغة المكتوبة بشكل مبدع".

وفي موضوع ذي صلة، لاحظ جيلز كيبل الذي أدمج الإحالات إلى خطاب الإنترنت في تحليله للحركات الجهادية: "في مواقع الويب بمختلف اللغات الأوروبية، سواء كانت مواقع جهادية أو دعوية، تمتزج لغة المصطلحات العصرية بلغة الدعوة الهجومية الحادة القائمة على إحالات دينية غامضة إلى فقهاء العصور الوسطى جاءت كتاباتهم بلغة عربية مبهمة". يمكن أن نجد أمثلة كثيرة من اللغة الدارجة ولغة الفقه واللغة الاصطلاحية والتعبير الإبداعي في البيئات الإسلامية السيبرية كجزء من التيارات التحتية للشبكات الإسلامية المعاصرة. ويستمدّ المحتوى أساسًا من مصادر باللغة الإنجليزية والعربية. ليس من الممكن رصد المحتوى الإسلامي بجميع اللغات، لكن في المناطق التي أركز عليها، سنرى أن بعض القضايا والمواضيع المشتركة يمكنها الظهور من خلال "لقطة" من الفضاء السيبري الإسلامية.

تشكيل اقتصاد المعرفة الإسلامية العالمية

قد يكون مناسبًا مناقشة تدفق البيانات عن الإسلام التي يجري تداولها عبر الإنترنت – سواء كانت باللغة الدارجة أو اللغة العربية القرآنية الواردة في خطبة ما – من زاوية اقتصاد المعرفة الإسلامية العالمية. لهذا المفهوم صلة بما يشير إليه مانويل كاستلز باسم "الاقتصاد المعلوماتي" في مناقشته لاقتصاد الأعمال العالمي في القرن العشرين:

> إنه معلوماتي لأن إنتاجية وحدات هذا الاقتصاد وتنافسيتها أو من يضطلعون بها (سواء كانت شركات أو مناطق أو دولاً) تعتمد بشكل جوهري على قدرتها على توليد المعلومات القائمة على المعرفة ومعالجتها وتطبيقها بفاعلية. وهو كوكبي لأن أنشطة الإنتاج والاستهلاك والتوزيع الأساسية، إلى جانب مكوناتها (رأس المال واليد العاملة والمواد الخام والإدارة والإعلام والتكنولوجيا والأسواق) يجري تنظيمها على نطاق الكوكب، سواء بشكل مباشر أو من خلال شبكة من الروابط بين الوكلاء الاقتصاديين. وهو اقتصاد متصل بشبكة لأنه، في ظل الظروف التاريخية الجديدة، تتولد الإنتاجية وتجري المنافسة في نطاق شبكة كوكبية من التفاعل بين شبكات الأعمال.

ثمة تركيز قوي على المعلومات والمعارف في البيئات الإسلامية السيبرية، رغم إمكانية وجود ملامح مميزة أخرى أيضًا. قد تتسم أفكار المعرفة الدينية بالتميز والسلطوية الشديدة ويستعين بها عدد كبير من المسلمين – ومن ثَمَّ يُبرَّر التركيز هنا على اقتصاد المعرفة الإسلامية الكوكبية. يمتلك هذا المفهوم، بالرغم من أنه ليس

"بيزنس" بالمعنى الذى ناقشه كاستلز، المكونات وشبكات التفاعل تلك. الروابط ليست شفافة دائمًا، بينما تتخذ عناصر الإنتاج والاستهلاك والتداول طابعًا دينيًا داخل البيئات الإسلامية السيبرية.

كانت السنوات القليلة الماضية مرحلة حرجة فى التاريخ الإسلامى الحديث، وهى فترة واصل فيها هذا الاقتصاد القائم على المعرفة تطوره. بيد أن تطورات القرن الحادى والعشرين هى أيضًا جزء من عملية طويلة المدى من التنمية ذات الصلة بالشبكات الإسلامية. وبالاقتباس من كتاب مريام كوك وبروس لورانس "الشبكات الإسلامية من الحج إلى الهيب هوب" (٢٠٠٥)، فإن السؤال الرئيس هو: "كيف استطاعت التكنولوجيا رفع التوقعات حول المسارات المتعددة للجنسية الجديدة التى من شأنها إعادة تشكيل إدراكنا للإيمان والسياسة والنوع (الجندر) فى الحضارة الإسلامية؟"

يعاد تشكيل الإسلام الآن. ولشبكة الإنترنت، لاسيما شبكة الويب العالمية، تأثيرٌ متزايد على المسلمين فى شتى السياقات المعاصرة. من الممكن تعيين العناصر الأساسية المرتبطة بتطوير المسارات والشبكات السيبرية الإسلامية وتحليلها. يمكن تحديد طائفة واسعة من مناهج وطرق فهم النص التشعبى الإسلامى فى الفضاء السيبرى، أنشأها مسلمون يسعون وراء عرض أبعاد من حياتهم الروحية أو الدينية أو السياسية أو هذه الأبعاد جميعها على الإنترنت.

قد تجمع تطبيقات الإنترنت المتنوعة التى تُستخدم باسم الإسلام بين مواقع الويب والوسائط المتعددة وغرف الدردشة وقوائم البريد الإلكترونى و/أو درجات مختلفة من التفاعل. يركز هذا الكتاب على شبكة الويب العالمية، مع الاعتراف بتفاعل هذه الأدوات المتنوعة. ويمكن للويب خلق مفاهيم للهوية والسلطة الإسلامية التى تعكس وتتقاطع مع مفاهيم مماثلة فى العالم الحقيقى غير الرقمى، لكنها تغذى أيضًا شبكات جديدة من أشكال التفاهم فى الفضاء السيبرى.

استخدم المسلمون بشكل مبدع الإنترنت لمصلحة توسيع فهم الدين لمصلحة المؤمنين الآخرين، لاسيما أولئك المرتبطين برؤية محددة للعالم، وفى بعض الحالات، لنطاق أوسع من القراء غير المسلمين. من الطبيعى لجيل من الملمين بالنت أن يبحثوا عن حقائق أو انتماءات معينة على الإنترنت، وخصوصًا حينما لا يمكن الوصول إليها فى مسجد محلى أو سياق مجتمعى. يعكس هذا وجهة نظر داوسون أثناء نقاش له حول الدين والإنترنت: "يُستخدم الإنترنت فى أغلب الأحيان لتوسيع آفاق الناس الاجتماعية وتعزيز مشاركتهم. الناس يستخدمون الإنترنت لزيادة وتوسيع نطاق حياتهم الاجتماعية الموجودة مسبقا، وليس كخيار أو بديل".

تشير الأدلة الإمبريقية أيضًا إلى أنه لا يجوز إطلاق التعميمات فيما يتعلق باستخدام الإنترنت، مع وجود عدد كبير للغاية من المسلمين الافتراضيين الذين يقضون جزءًا جوهريًا من حياتهم على الإنترنت، داخل البيئات الإسلامية السيبرية أو خارجها. أدى هذا إلى تحول مفاهيم الشبكات الإسلامية، وخصوصًا بين أولئك الذين يدمجون جوانب من ويب ٢,٠ فى استهلاكهم وخلقهم للمحتوى على شبكة الإنترنت.

يمثل هذا الكتاب شكلاً من أشكال البحث فى "مجتمع المعلوماتية". يذكر كاستلز "أننا بحاجة إلى تحديد عملية التغير التكنولوجى الثورى فى السياق الاجتماعى الذى تحدث فيه والذى تتشكل من خلاله، ولابد أن نضع فى حسباننا أن البحث عن الهوية لا يقل قوة عن التغير التكنو – اقتصادى فى رسم التاريخ الحديث".

يعتبر البحث عن الهوية هذا عاملاً دافعاً من عوامل التواجد فى البيئات الإسلامية السيبرية، ويؤكد على نقاط أشار إليها كاستلز فى مواضع أخرى، حينما ذكر أن الأفراد فى الأحوال المعقدة أو الظروف المعاصرة يسعون إلى الهويات الأولية. وبينما لن أضع تأكيد كاستلز على "الأصولية" بوصفها عاملاً دافعًا (بسبب وجود صعوبات كامنة بهذا المصطلح)، فمن المثير للاهتمام ملاحظة مدى انطباق

وجهات نظره بشأن الهويات على البيئات الإسلامية السيبرية – وبالأخص، إيمانه "بالانقسام الجوهرى بين الذرائعية العالمية المجردة والهويات المحددة الراسخة تاريخيًا. تتشكل بُنَى مجتمعاتنا بصورة مطردة حول التعارض ثنائى القطب بين النت والذات".

يناقش كاستلز هذا فى سياق تفكيك أنماط التواصل الاجتماعى وإعادة ترتيبها. وفيما أن كاستلز كان يكتب عن هذا فى ١٩٩٦، إلا أن ما أثاره يبدو أنه أصبح قضية وثيقة الصلة بالموضوع بعد عقدٍ أو نحوه، ومن المؤكد أنه سيكون ذا صلة بالبيئات الإسلامية السيبرية. للهويات المحددة دور مهيمن فى جوانب التعبير الإسلامى على الإنترنت بينما تتمثل انتقائية تبادل المعلومات من خلال تحقيق أهداف معينة ضمن عدد من الأجندات الإسلامية على الإنترنت. إلا أن دايل أيكلمان يذكر أن الاتصال بالشبكات ليس إلا مكونًا واحدًا من صورة أكبر: "الأكثر أهمية من مجرد فكرة الشبكة هى أساليب التواصل وأنماطه التى تسهل تشكيل أشكال جديدة ومتداخلة من الجماعة والثقة والترابط".

وجهات نظر أيكلمان وكاستلز صائبة: ملاحظة المسلمين الافتراضيين تجعل منا شهودًا على التغيرات فى أساليب التواصل. للبيئات الفيزيقية والافتراضية التى يتم فيها هذا أهميتها أيضًا، لاسيما من حيث إن كانت تمثل فضاءً "عامًا" أو "خاصًا". يذهب داڤيد هولز بهذه النقطة إلى مستوى أبعد: "إن السؤال عما إن كان التفاعل يشكل إسهامًا فى المجال العام حينما يُختزل فى أشكال من إتاحة الاتصال بالوسائط الإلكترونية الممتدة تكنولوجيًا والتى يجرى تشغيلها من المنزل هو سؤال محورى يُطْرَح فيما يتعلق بـ[الاتصال عبر الوسيط الحاسوبى]. من المؤكد أن مسألة الخاص/العام باتت خلافية للغاية على الإنترنت".

لهذا السؤال تحديدًا بُعْدٌ مضاف فيما يتعلق بمفاهيم الفضاء الإسلامى ـــ على سبيل المثال، من حيث المناطق أو الأماكن المقدسة والبينية حيث يوجد فصل بين

الجنسين على أساس مبادئ دينية. وتؤثر هذه العوامل سواء على شبكة الإنترنت أو خارجها، حيث تتصف مناطق من النت بأنها مناطق خاصة وعامة. فى الفئة الأولى، قد تقتصر العضوية على أفراد تعرضوا للفحص ولديهم كلمات للمرور. غير أن امتلاك هوية إسلامية ليس شرطًا مسبقًا لدخول البيئات الإسلامية السيبرية. وقد يشير البعض إلى وجود سهولة الحركة فى بعض السياقات بالنسبة للأفراد الذين يرغبون فى زيارة مناطق معينة من النت يحظر زيارتها على أرض الواقع أو الدخول إليها فى سياق العالم الحقيقى. فى رحلاتى، كانت هناك مرات كثيرة منعنى فيها حارس من الدخول إلى مسجد أو مزار لأننى أفتقد هوية إسلامية أو ما يُفْهَم على أنه "مظهر إسلامى". ولا ينطبق هذا على الدخول على شبكة الإنترنت.

يمكن النظر إلى القضية فى سياق الدخول إلى البيئات الإسلامية السيبرية، حيث أكمل الإنترنت المقاربات التقليدية لإدارة المعرفة الإسلامية ونشرها بل وفى بعض الحالات حل محلها. على سبيل المثال، يَعبر الوصول إلى النصوص الإسلامية والفتاوى الدينية حدودًا واجهت الأجيال الماضية. لا يزال المفهوم التقليدى الخاص "بالجلوس عند أقدام عالم" لاكتساب المعرفة عن الإسلام موجودًا، لكنه صار الآن ذا مقابل رقمى. مستويات المشاركة والعضوية مؤشرات مهمة أيضًا ضمن البيئات الإسلامية السيبرية: "كل وسيط يُنْظَر إليه على أنه إما بيئة تقنية أو شكلاً من التواصل الاجتماعى، قادرا على تسهيل فكرة التفاعل المباشر داخله. عندما نترك التليفزيون مفتوحًا فى الخلفية حتى لو لم نكن نشاهده، أو ننزل بريدنا الإلكترونى ونحن نعمل قبل الانخراط فى الاتصال وجهًا لوجه، فإننا ننخرط فى أشكال من الاندماج مع الميديا".

يتخذ معنى التفاعل والاندماج هذا أشكالاً متعددة فى البيئات الإسلامية السيبرية، لاسيما لو كان الشخص مشتركًا فى العديد من مواقع الويب المختلفة. يتضح الانخراط بنفس الدرجة عند تلقى خلاصات الآر إس إس من موقع بعينه أو

مشاهدة MySpace أو YouTube. وربما زاد زخمه لدى أولئك الذين يتواجدون يوميا "على الإنترنت دائماً" أو توفر لهم هواتف بلاكبيرى تحديثات رسائل البريد الإلكترونى باستمرار من خلال خدمات الاشتراك.

لكن يمكن الإشارة إلى أن عنصر التواجد "على الإنترنت دائماً" قد يعكس أولئك الأفراد الذين يسود التأمل والصلوات الدينية كل أقوالهم وأفعالهم طوال اليوم. فمن الشائع بالعربية أن تسمع، على سبيل المثال، المسلمين المتدينين يُطَعِّمون الجمل التى يقولونها بعبارات تستدعى الله ومحمد (ص). تقدم هذه الاستدعاءات نوعاً من الحماية فى عالم الحياة اليومية. ولعل هذا يناظر التواجد "على الإنترنت دائماً" من حيث الإمداد بالموارد الإسلامية التى تتدفق من الإنترنت دقيقة بدقيقة.

تمثل البيئات الإسلامية السيبرية تحدياً أيضاً لما يمكن وصفه بنظرية الاستعمار الإلكترونى: "ترى نظرية الاستعمار الإلكترونى أن الميديا الجماهيرية عند تصديرها تحمل معها نطاقاً واسعاً من القيم. هذه القيم ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية وثقافية وأحياناً سياسية أو دينية". فسَّر البعض هذا على أنه عملية ذات توجه غربى ومرتكزة حول أمريكا وتتصل بنظرية النظام العالمى، وهذا "يبين بالتفصيل نظرية الاستعمار الإلكترونى عن طريق تقسيم دول العالم إلى ثلاث فئات، بل إنه يتوسع بعد ذلك حول الكيفية التى تعمل بها الفئة الأساسية للتأثير على الفئتين الأدنى".

ينتمى كثير من الشعوب المسلمة إلى الفئات الأدنى ضمن هذا النموذج، ويقطع وجود اقتصاد معرفة إسلامى نشط على الإنترنت شوطاً قصيراً للتصدى لأثر الميديا التى يسيطر عليها الغرب. لا بد أن نلحظ أن نسبة كبيرة من الخطاب الإسلامى-السيبرى، لاسيما فى بدايات الويب، انبثقت من السياقات الإسلامية الغربية. وأسهم أثر المحتوى على الإنترنت الذى ألفه مؤلفون من داخل الأقليات المسلمة فى الغرب وقدموه فى سياق عالمى فى دعم وضع مثل هؤلاء المؤلفين

وزيادة الوعى بهم فى اقتصاد المعرفة الإسلامى. وتدمج الكثير من البيئات الإسلامية السيبرية المحتوى الذى أنتج بشكل جماعى عبر شبكات إسلامية فى مختلف السياقات.

أيضا، لابد من أخذ "تأثير قناة الجزيرة" فى الاعتبار. ركزت القناة الفضائية عند إطلاقها فى ١٩٩٦ ومنذ البداية على جماهير الأمة العربية، ومن الواضح أنها ضمت العديد من المسلمين ضمن واجهتها الديموغرافية. وفرت القناة بمقرها فى قطر أحد المنافذ لمناقشة القضايا الإسلامية، خاصة فى برامج مثل برنامج يوسف القرضاوى "الشريعة والحياة". فى هذا البرنامج الشعبى الذى يتلقى المكالمات الهاتفية من المشاهدين، يجيب العَالِم عن أسئلة المشاهدين فى عدد من الموضوعات. ونتج عن هذا ظهور مقلدين له على قنوات أخرى.

لقناة الجزيرة تأثير عميق على الطريقة التى تَرِدُ بها الأخبار، خاصة حول الشرق الأوسط، وأدى نجاحها كعلامة تجارية كوكبية إلى إنشائها قناة باللغة الإنجليزية. هناك بعض التداخل فى المحتوى، رغم أن أحد المراسلين الذين تحدثت إليهم أشار إلى أنه يعتبر القناة الإنجليزية "الجزيرة لايت"[الخفيفة] لأنها تفتقر إلى الزخم الذى تتميز به نظيرتها العربية. يمتد تأثير الجزيرة إلى الفضاء السيبرى، حيث يستشهد بها المذيعون والمدونون على الإنترنت بصورة منتظمة، وتُستمد المحتويات من ملفات الفيديو وغيرها من المعلومات الأخرى التى تنشر على الإنترنت، ولها موقعها الخاص بها على الويب. أجبر ظهورها القنوات الأخرى على تطوير محتواها الخاص باللغة العربية، فى الأسواق المحلية أو الدولية.

حاولت قناة الجزيرة ترسيخ نفسها بالحفاظ على صورة الحياد بين أوساط الأمة العربية، فى تحدٍ كبير للقنوات المحلية فى سياقات الشرق الأوسط وغيرها من القنوات التى قد تتعرض المادة التى تقدمها للتحكم أو القيود. ومع ذلك، اتُّهِمَت الجزيرة بأنها مجرد بوق لتنظيم القاعدة، خاصةً فيما يتعلق بعرضها للمادة

الجهادية على شبكة القاعدة على الإنترنت – وهو اتهام رفضته الشبكة بشدة. أحد آثار ظاهرة قناة الجزيرة هو أنها جعلت مزوِّدى المحتوى الإسلامى على الإنترنت يدركون إمكانات قنوات الميديا العالمية بأشكال متعددة. وامتدت فكرة وجود قناة عالمية إلى مادة مواقع الويب الجهادية التى طور بعضها برمجة خاصة بها فى هيئة أشكال إخبارية.

وقناة الجزيرة عنصر واحد من صورة أكبر. من الجلى أنه يمكن الربط بين شتى نظريات الاتصالات العالمية فى محاولة استكشاف البيئات الإسلامية السيبرية. وباتت مناقشة هذه القضايا جزءاً من الخطاب الإسلامى على الإنترنت، شيئًا مهمًا يتبادله ويحلله المسلمون الافتراضيون، فضلاً عن الأكاديميين الذين قد يعملون من داخل إطار المرجعية الإسلامية أو من خارجه.

تفسير البيئات الإسلامية السيبرية

هناك سلسلة من الأسئلة المعقدة فى قلب هذه المحاولة لتأطير العولمة فى بيئة إسلامية. ترتبط تلك الأسئلة بمفاهيم ما يُعْرف بقضية الاستشراق والميديا التى أثارها إدوارد سعيد بما يعكس بصيرته النافذة. هناك أيضًا قضايا ذات صلة مرتبطة بأفكار تدفق المعلومات ضمن السياقات المحلية والقومية والعالمية. أدى تأثير التحولات فى أساليب نشر البيانات عن الإسلام عبر الإنترنت، لا سيما من خلال الندية، إلى إعادة تشكيل معقدة لنماذج المرجعية الدينية.

قد يكتسب المتصفحون أشكال فهم جديدة، وما يترتب عليها من انتماءات جديدة أيضًا من خلال الإلمام باستخدام الويب، إلى جانب اتساع نطاق قواعد البيانات الإسلامية ومصادر المعلومات المتاحة. يذكر بيتر ماندفيل فى هذا السياق: "تنتقل أشكال الخيال الشعبى بصورة لا بأس بها اليوم. تكنولوجيات الميديا مسئولة إلى حد كبير عن هذا التطور. فهى تتيح لنا إعادة إنتاج أشكال الهوية الجماعية والحفاظ عليها عبر مسافة كبيرة. وفيما أن الفرق بين – هنا– و– هناك – لا يزال

قائماً، لم يعد – هناك – بعيداً جداً". يتناول ماندقيل هذه القضية من خلال تحليل عملية عبر – محلية، حيث تتدفق المعلومات والآراء بين الفضاءات المتنوعة وعبرها. يتخذ مفهوم الجاليات الإسلامية التى قسمتها تمايزات غير واضحة والتى بدأت فى الظهور فى الفضاء السيبرى أشكالاً كثيرة، بما فيها جدائل فردية تجمع أفراداً غير مرتبطين معاً.

يمكن أن يكون تحديد ماهية جمهور هذه المادة الإسلامية على شبكة الإنترنت قضية حاسمة. ومن المحتمل أن تنجذب الانتماءات الدينية المحددة إلى مناطق من الويب تمثل رؤيتها الخاصة للعالم داخل مجتمع رقمى ما. تركز بعض مواقع الويب على استقطاب مسلمين آخرين إلى وجهة نظرها الخاصة، بينما يسعى البعض الآخر إلى نشر الإسلام بين غير المسلمين. يمكن أن يكون تحديد نقطة الانطلاق لاستكشاف الإسلام على شبكة الإنترنت أمراً مُشْكِلاً. وتستمر مواقع جديدة فى الظهور. تترك مجرد كتابة كلمة "الإسلام" على أى محرك للبحث، وهو أمر يشكل مصدر إثارة وعملية تستغرق وقتًا طويلاً بالنسبة لى، تترك القارئ مع مئات الآلاف من الخيارات الممكنة.

نمَّى المسلمون الافتراضيون التوقعات حول أشكال الخطاب الإسلامى المتاح على شبكة الإنترنت، والطرق التى يمكنهم أن يسهموا بها فى ذلك من خلال التوزيع والتعليق والتفاعل. أدركت القطاعات التى كانت مُحْجِمَة أو مترددة سابقًا، أو فى بعض الحالات، غير واعية تكنولوجيًا والتى تمثل جوانب من المعتقدات الإسلامية، أدركت الحاجة إلى الاطلاع على الإنترنت لتلبية احتياجات مجتمعاتها أو شبكاتها المحلية. سعت ألوان من الطيف الإسلامى، عن طريق إنشاء بوابات جذابة وخدمات على الإنترنت، لتوجيه القراء وإدارة المعرفة المرتبطة بمنظوراتها العقائدية. وكثيراً ما ترتبط هذه الأطياف بدائرة عالمية أوسع. يشير چون أندرسون إلى إنتاج شكل من أشكال "الخطاب الهجين" الوسيط بين مختلف مجالات الاهتمامات الإسلامية:

> الإسلام على الإنترنت مشاركة بالأداء، لا يشكل فقط نموذجًا معياريًا بل مشاركة برجماتية بالمعاينة والارتباط، و... هذه الارتباطات تنمو نموًا متفردًا فى هذا الوسيط. وهى تشمل وسائل يربط بها المسلمون حياتهم بالإسلام ويوسعون نطاق تلك الارتباطات بما يتجاوز حدود الشبكات السابقة إلى مجموعة أوسع من الأشخاص، بمن فيهم النساء ... وتمثل هذه الأصوات الارتباطات والهويات والادعاءات "الوسط المفقود" بين إسلام المثقفين الذى يخضع لتحليل (الفكر) النصى وإسلام الجماعة أو الجماهير الذى يجدر تفحصه من خلال علاقته بالقوى الاجتماعية.

كان لهذا التهجين أثره، حتى فى معاقل العلم الإسلامى كجامعة الأزهر بالقاهرة. وسواء كان هذا الوسط المفقود يمثل فهمًا لنموذج سلطة من أعلى إلى أسفل ـــ أو الأحرى فهمًا يقدم خطابات متعددة تُقْلَب فيها السلطة بحيث تصبح من أسفل إلى أعلى – فهى مسألة مثيرة للاهتمام. قد يكون لآثار الحوار المنبثق من الوسط تأثير فى كل الاتجاهات، لا سيما فى الطريقة التى تختلط بها الثقافات والشبكات الإسلامية لتستوعب عناصر من قيم ثقافية شعبية أخرى.

يدل هذا على "اندماج" القيم الدينية والثقافية الإسلامية كما فسرتها إيڤون سنج، حيث يوجد فى بعض تكنولوجيا الإنترنت عنصر متكامل من عناصر أنماط الحياة الحديثة المسلمة: "تغيرت جامعة [الأزهر] بمرور الألفية. فهى تمتد الآن فى ضواحى القاهرة. والطلاب لم يعودوا ينامون على حُصُرٍ فى الهواء الطلق ولكن فى مساكن حديثة للطلبة مكيفة الهواء. يمكنهم الحصول على القرآن على قرص مضغوط، والاتصال عبر الأقمار الصناعية والإنترنت والبريد الإلكترونى. ويدرسون

تكنولوجيا الحاسب والسياحة (الحياة الوظيفية التى يختارونها). يختلط فى ذائقاتهم الشرق والغرب: الجينز الأزرق مع الحجاب، والكوكا كولا مع الفلافل، وأم كلثوم مع سماشينج بمبكينز".

كانت سنج تكتب عن الأزهر الشريف الذى ظل القاعدة التقليدية للتعليم السنى القويم لعدة قرون. جاءت مقارنة أم كلثوم، وهى مطربة مصرية اشتهرت بأدائها الملحمى الذى كان يستدعى القيم العربية والإسلامية التقليدية، بفرقة الروك البديل "سماشينج بمبكينز" الأمريكية القائمة منذ فترة مقارنة دالة. فهى تشير إلى أنه لا تناقض بين أطر المرجعيات الثقافية المتنوعة المتناقضة ظاهريًا. ولهذا علاقة بمقاربات البيئات الإسلامية السيبرية، حيث قد يكون هناك مزج بين القيم التقليدية والنظرة المعاصرة. مثل هذه النظرة المعاصرة المركزة تكنولوجيًا لا تزال على خلاف مع بعض المفاهيم الخاطئة عن المجتمعات الإسلامية، ولاسيما تلك التى تعمل فى السياقات ذات الصبغة الحضرية. بالنسبة للكثير من المسلمين الافتراضيين لا يوجد تضارب بين التكنولوجيا والحياة بصورة إسلامية. إذ يُنْظَر إلى الإسلام باعتباره قابلاً للتكيف مع أى عصر وسياق، لكن مع الحفاظ على القيم الأساسية. وبالمناسبة، يمكن تحميل كل من أغانى أم كلثوم و"سماشينج بمبكينز" على "آى تيونز".

البحث فى البيئات الإسلامية السيبرية

تُستحدث تطورات جديدة بصورة منتظمة فى الوسط الرقمى الإسلامى، وليس بالإمكان تسجيل كل عنصر من عناصر التعبير الإسلامى-السيبرى. فالمواقع والأماكن والمحتوى تتغير باطراد. للأنساق ترتيبات متغيرة، ويتطور المحتوى بمرور الوقت مع تغير التكنولوجيا، كما يحسِّن منتجو المحتوى من مهاراتهم. سلط أندرسون الضوء، أثناء اعترافه بالطاقة التحويلية الكامنة للإنترنت على الشبكات الإسلامية، على الصعوبات فى تحليل عمليات التغيير:

بغض النظر عن الحيرة التى تولدها هذه العملية – وفى الواقع، العمليات الكثيرة المتداخلة المتقاطعة – فإنها يمكن تكون عسيرة إلى حد مُعْجِز. القصة لا تزال تتكشف، وتتابع التجارب، وتقدم تفاعلية الإنترنت الناشئة ومعها توفر التكنولوجيات الجديدة على الإنترنت مستوىً غير معتاد من التجاوب مع "السوق" الدينى للرسائل والخطاب والاتصال الإسلامى بالشبكات، والذى يتزامن نشوؤه مع العالم الأوسع الذى يخاطبه والذى يُقَوْلَبُ فيه. اختفى بالفعل جزء من القصة، أى صارت "أوفلاين" بالمعنى الحرفى للكلمة، مع انتقال كلٍ من الإنترنت والعالم من مرحلة أولية لجعل الدين "أونلاين" فى أعمال تشهد بالتقوى والورع إلى مرحلة أكثر تعقيداً تعنى وضع استراتيجيات تُصْبَغ بالصبغة الرسمية فى عالم تتعدد فيه السلطات المتنازع عليها، والمتنافسة على حدٍ سواء.

أندرسون على حق؛ تضيع الكثير من المادة "الأونلاين" على الباحثين، لأنها غير مؤرشفة أو محفوظة رسمياً. سعيتُ لأرشفة تلك العناصر ذات الأهمية بالنسبة لبحثى، رغم مرّات دمار القرص الصلب، من بينهما مرتان أثناء تأليف هذا الكتاب. وفى بعض الأحيان، يتسم الحصول على البيانات بطبيعة غير منظمة وغير علمية وعشوائية. كما أن جداول نشر المحتوى "الأونلاين" ليست دقيقة وتتطلب اتباع نهج محدد فى استخراج البيانات.

تواصل أساليبى فى جمع المعلومات المتعلقة بمجال هذا البحث تطورها، إذ يتطلب يوم البحث العادى زيارات يومية لمنتديات الدردشة ومواقع الويب وقراءة

المدونات واستعراض مجموعة معقدة من المواد. لابد من تحميل بعض هذه المواد وحفظها، بينما تتطلب عناصر أخرى الدخول إلى مناطق مُؤَمَّنة ومحمية بكلمة مرور للإنترنت. أما العنصر الذي يستغرق وقتًا طويلاً فهو غربلة خلاصات الآر إس إس، والذي يزداد تطورًا إلى جانب غيره من الأدوات، حتى مع نمو المصادر من حيث العدد. يتطلب البحث المراقبة والمناقشة مع منسقي ومستخدمي الويب. ويضيف النمو المطرد في المواد المكتوبة باللغة العربية وغيرها من اللغات مستويات معقدة أخرى لعمليات استخراج البيانات.

أما فيما يتعلق بالفصل الخاص بالمدونات في هذا الكتاب، فقد جرى تفحص مجموعة أساسية من الصفحات، جزئيًا من خلال استخدام خلاصات الآر إس إس وخدمات جمع المحتوى. على سبيل المثال، سوف تربط خلاصة آر إس إس لبوابة ما الباحث بمئات المواقع الأخرى. كان انتقاء مثل هذه الأدلة الإمبريقية عشوائيًا في بعض الأحيان؛ قد يربط موقع ما غني بالمعلومات في الغالب بمواقع أخرى كثيرة. جرت ملاحظة مجموعة صغيرة من حوالي ٣٠ موقعًا عن كثب منذ عام ٢٠٠٣، لكن هذه المواقع كانت بوابات أيضًا لمئات من المدونات الأخرى بشتى اللغات. كان تركيزي على الصفحات باللغة الإنجليزية والعربية، رغم أنني حتمًا تفحصت المحتويات الأخرى أيضًا. تصفحت الصفحات المهمة، وتعقبت الموضوعات، كما سجلت المحتوى في أرشيفي الشخصي.

نُشِرَت نسبة من المواد المستمدة من مسحي اليومي للويب على مدونتي الإسلامية الافتراضية، مع تعليق موجز. يسد هذا الكتاب بعض الثغرات في مدونتي، حيث يسلسل المعلومات في إطار متماسك. سجلتُ نسبة كبيرة من جميع هذه البيانات وحفظتُ منها نسخة احتياطية. وقد يستغرق الوصول إلى موقع جديد عدة ساعات من التحليل والتسجيل المكثف. تحديد ملكية الموقع، وفحص المواد المؤرشفة (إن وجدت)، وإقامة الروابط والمراجع ذات الصلة من الأنشطة المناسبة أيضًا التي تجرى ممارستها بدرجات متفاوتة.

لدى بعض الوكالات والمنظمات فِرَقٌ من الموظفين المختصين بهذه المهمة بدوام كامل من حيث الترجمة والتسجيل والملاحظة والتحليل. ويحدث هذا غالبًا من أجل أجندات محددة ترتكز على اعتبارات أمنية. بيد أن هذا الكتاب الحالى بكامله مستمدٌ من مُخْرَجاتى وملاحظاتى. يتطلب البحث فى الإنترنت على نطاق كامل للخيوط التى تربط الخطاب بالمعرفة الإسلامية موارد معلوماتية وشخصية وحاسوبية هائلة، تتجاوز بكثير إمكانيات أكاديمى واحد. أشار دانيال فارسيكو إلى هذه النقطة إشارة لا بأس بها فى ٢٠٠٤، عندما كانت هناك مواقع إسلامية أقل بكثير من المواقع المتوفرة فى الوقت الحاضر (منتصف ٢٠٠٨):

> يزيد من تعقيد الطبيعة العابرة لمواقع الويب ما يبدو من سهولة العثور على الكثير من شتى أنواع المواقع. فلو كان هناك بالفعل أكثر من ٨ مليون صفحة ويب تذكر الإسلام، سيستغرق الأمر نظريًا منى أكثر من أربع سنوات ونصف من التحليل دون توقف، لمدة ثمانى ساعات يوميًا، إذا قضيت دقيقة واحدة فقط على كل صفحة ويب. بالطبع لن تكون كل مواقع الويب الممكنة ذات قيمة، لكن كيف يمكن تحليل مثل هذه العينة الكبيرة تحليلاً ذا معنى عمليًا؟ ضع فى الاعتبار أيضًا أن جوجل لا تصل إلى كل صفحة ويب والكثير من الصفحات المذكورة لا وجود لها الآن. منظومة البيانات فى حد ذاتها منظومة مغرية، ولكن كيف يمكن أن تكون ذات صلة بصورة مفيدة لمن يرفعون المواقع ويتصفحون الصفحات؟ ثمة ثورة ميديا ذات أبعاد هائلة تحدث فى الفضاء السيبرى. ومع الاعتذار

لمارشال مكلوهان، فإننى لست متأكداً أن الوسيط هو الرسالة بالنسبة للإنترنت، لكن الوسيط بالتأكيد نوع جديد من التحدى المنهجى.

يتبنى هذا الكتاب التحدى من دون اعتذار. تقدم صلاحية لقطة ما للاستخدام تناقضات وإشارات للتعقيد، وتوفر رؤية حول كيفية استمرار البيئات الإسلامية السيبرية فى التطور ونشأة الشبكات الإسلامية على الإنترنت. أصبحتُ على دراية متزايدة بأن الحدود بين "الأونلاين" و"الأوفلاين" باتت غير واضحة بشكل متزايد داخل البيئات الإسلامية السيبرية وبينها، وبتوازٍ مع المجتمعات الفيزيقية.

ظل التمييز بين الدين على الإنترنت وخارجه عنصراً حاسماً فى دراسات رائدة عن الدين أو الإنترنت أو كليهما. تستكشف هذه الدراسات الدافع وراء وضع المادة الدينية على الويب، والتى يمكن أن تتباين تبايناً كبيراً. بالنسبة للبعض، فهى محاولة لاستخلاص تجربة دينية رقمياً ووضعها على الإنترنت. قد تظهر درجات من "الشعائر" أو تتمثل "أونلاين" لأغراض كثيرة؛ لكى تشرح لغير المؤمنين ممارسة عقائدية، وتشجع المؤمنين الجدد، وتولد شعورا بالهوية لدى الممارسين الحاليين للدين، وتعكس العمليات والتفاعلات الاجتماعية خارج الإنترنت وتتصل بها.

ناقش عدد من الباحثين جوانب من المفهوم المرتبط بأديان محددة على الإنترنت أو بمعتقد ليس له نظير خارج الإنترنت، على الأقل فى مراحل تطوره. يمكن للدين على الإنترنت أن يتخذ أشكالا كثيرة، ويسلط هذا الكتاب الضوء على العديد منها. تطورت شعائر وولاءات محددة مثل الصلاة أو الاستماع إلى الخطب يمكن لشبكات المسلمين المشاركة من خلالها فى الأنشطة الدينية وتشكلت خصيصاً للدخول على الإنترنت. وقد تنطوى هذه على درجة من التفاعل. تبرز الأسئلة حول ما إذا كان القصد والمشاركة المرتبطان بالصلاة على الإنترنت يناظران الصلاة التى تؤدى فى المسجد.

صقلت المؤتمرات الأكاديمية الدولية أيضًا المناهج المتبعة في هذا الحقل الدراسي. ليس لعدد من التطورات والابتكارات في الممارسات والمفاهيم الإسلامية على الإنترنت التي نوقشت في هذا الكتاب نظير حقيقي خارجه، وتمثل هذه جانبًا من جوانب "الدين على الإنترنت" الذي ينبغي النظر إليه جنبًا إلى جنب مع هذا الخطاب البحثي.

لا تزال دراسة الإسلام في الفضاء السيبري حقلاً ناميًا من حقول الدراسة الأكاديمية. تشير جوسلين سيزاري، بالنسبة لدراسات الإسلام والإنترنت (بما فيها تلك التي أنتجتها بنفسي)، إلى أن هناك مجالاً لمزيد من البحث في أشكال محددة من الإسلام على الإنترنت التي قد تكون مستقلة عن نظيراتها خارجه: "منذ ١١ سبتمبر٢٠٠١، عنيت دراسة إسلام الإنترنت في المقام الأول بدراسة النضال المتعلق بالإسلام".

سعيت لتحقيق التوازن بين العناصر المختلفة ذات الأهمية التي تتعلق بالإسلام والإنترنت. في ٢٠٠٤ أنجزتُ دراسة حول كيفية عرض القرآن على الإنترنت، وضمن دراسات أخرى ركزت أيضًا على جوانب التواصل و"الاجتهاد" الإلكتروني. ركزت في كتابيَّ "إسلامي افتراضي" (٢٠٠٠) و"الإسلام في العصر الرقمي (٢٠٠٣) على كيفية تكوين مواقع الويب كامتداد لأشكال أخرى من المعرفة والشبكات والمرجعية الدينية. جرى التأكيد على أنه في بعض الحالات، تطورت صياغات جديدة متميزة من الإسلام تتجاوز الحدود التقليدية للمعرفة. يسعى هذا الكتاب لبيان الهويات الإسلامية المتفردة على الإنترنت ومفاهيم الإسلام، إلى جانب طمس التمايز بين هذه الهويات ونظائرها خارج الإنترنت.

يُعدّ تحديد نطاق المشهد الإسلامي- السيبري عنصرًا حاسمًا. وفي رأيي أن هناك مجالاً لمجموعة متنوعة من الدراسات لهذه الظواهر، بما فيها أشكال معينة من الإسلام على الإنترنت وما يمكن وصفه بأنه اندماج رقمي بين الإسلام على

الإنترنت وخارجه. لا ريب أن لتخصص المظاهر المحددة للإسلام على الإنترنت حينما تعرض نفسها من خلال مجموعة متنوعة من السياقات والأنساق والوسائط أهمية خاصة هنا. من المناسب أيضًا إجراء أبحاث قاعدية على أثر الإنترنت فى سياقات متنوعة، وهو أمر خارج نطاق هذا الكتاب.

بات الإنترنت عنصراً مساعداً حيوياً للباحثين الذين يسعون إلى تحليل جوانب من المعتقدات الإسلامية، وخاصة تلك التى تركز على تحليل المحتوى - يعتبر الإنترنت بالنسبة لهؤلاء مصدراً أساسيا للمعلومات حول الحركات والكيانات وشبكات مثل القاعدة. أيضا دخل بعض محللى الإسلام على الفضاء السيبرى لتفسير الوثائق والحركات. هناك تداخل كبير بين مختلف المباحث فيما يتعلق بتفسيرات الإسلام والإنترنت، لاسيما فى السياقات الإقليمية. وتحتاج الأسئلة المتميزة التى ظهرت مؤخرا والمتعلقة بتحديد الدراسات الإسلامية وعقلنتها كحقل معرفى - أو سلسلة من الحقول المعرفية - للنظر إليها فى علاقتها بدراسة البيئات الإسلامية السيبرية.

يمكن للدراسات الإسلامية نفسها أن تعمل من خلال عدد من نقاط التلاقى بين الحقول المعرفية (وليست جميعها حقول تكمل بعضها) وبين بعض الأجندات المتنوعة. على سبيل المثال، استمر النقاش فى المملكة المتحدة فى ٢٠٠٧ حول ما إن كان ينبغى أن تركز دراسات الإسلام على الجاليات المسلمة الموجودة فى المملكة المتحدة أو على المجالات التقليدية المرتبطة بالدراسات الإقليمية واللغويات، خاصة تلك التى ترتبط بمنطقة الشرق الأوسط. كنت عضواً تنفيذيًا بالجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، كما أننى أكاديمى ظلت دراسة الإسلام ضمن السياقات الأوروبية الغربية نقطة أساسية لأبحاثه الأكاديمية. ولذلك، فإننى متموضع فى منتصف المسافة بين هذين المجالين، واللذين أرى أنهما مكملان لبعضهما أكثر منهما متنافسان. بعد كل شىء، هناك ترابط بين هذه المجالات لأولئك المهتمين بالبيئات الإسلامية السيبرية.

انعكست التداعيات السياسية لدراسة الإسلام، وحتى فى مستواها الاستهلالى، عندما نظّم كارل إرنست (محرر مشارك فى السلسلة التى صدر من بينها هذا الكتاب) فصولاً دراسية بجامعة ولاية كارولينا الشمالية خُصِّصَ فيها أحد الكتب التى تُعَرِّفُ بالقرآن موضوعًا للدراسة المقررة. كما انعكس الحوار الذى أعقب تلك المحاضرات عن الحرية الأكاديمية والحياد على الإنترنت وخارجه. وبالنسبة للبعض الذين يربطون أنفسهم بهذا المجال ضمن سياقات "غربية"، هناك أجندات سياسية واضحة مرتبطة بتأييد ودعم أنظمة حكم وأيديولوجيات بعينها.

يندرج مفهوم الدراسة الموضوعية للإسلام، فى بعض السياقات الإسلامية، ضمن الأجندات السياسية والدينية؛ فدوافع الدراسات الإسلامية قد تكمن بدلاً من ذلك فى التدريب على الواجبات الدينية كإمامة للصلاة، أو دفع أطر المعتقد الفردية، بدلاً من الدفع بالبحث الأكاديمى النقدى قُدُمًا. يمكن أن يكون هناك التباس، وعدد وافر من التفسيرات، مرتبطًا بتعريف دراسة الإسلام.

هناك أيضًا قضايا محددة مرتبطة بهويات "الداخل" و"الخارج" أى "المنتمين" و"الدخلاء". فعلى أحد الأصعدة، فإننى أعمل ضمن الفئة الأخيرة، فيما أدرك أيضًا أن الفرد يمكن أن يتمتع بالعديد من الهُويات. مناقشة الداخل والخارج قضية طال أمدها، خاصة بالنسبة لشخص يعمل على حد سواء ضمن قسم اللاهوت والدراسات الدينية، ومركز الدراسات الإسلامية. ومع ذلك، بَيَّنَ معارفى من المسلمين أنه فى مناطق معينة من الخطاب الإسلامى، يمكن لهذا أن يسهل جوانب التحليل النقدى التى لابد أن تستثير الجدل بالنسبة لمن يتمتعون بهوية إسلامية. قد يقدم من يُعْرَفون بالمسلمين العلمانيين، على سبيل المثال، تفسيرهم الخاص للشعائر الذى يثير زجرًا وتوبيخًا من قبل المسلمين "التقليديين". كما قد يلقى مَنْ يعملون من خلال نظرة صوفية شيئًا من الاعتراف من بعض الانتماءات القانونية ضمن "المدارس" التأويلية للفقه الإسلامى. بينما لا تعترف جوانب العقيدة الشيعية

بالضرورة ببعضها. ورغم هذا وغيره من العوامل، لا أود أن أبدو وأننى أعتذر. أدرك أن هناك مجالاً لعدد من وجهات النظر حول هذا الموضوع، ولا سيما تلك التى تعمل ضمن الدراسات الإسلامية. ومن خلال عروض ذات صلة بالموضوع فى مؤتمرات ومناقشات أخرى أثناء إعداد هذا الكتاب، استفدت من مناقشة هذه الموضوعات مع عدد من الأشخاص الذين يعملون من منطلق رؤى إسلامية متنوعة.

وفيما نُدْرِك فى سياق هذا الكتاب أنه لا مجال أساسًا لمفهوم الحياد، فقد بذلنا جهدًا للتوصل إلى نهج متوازن أكاديميًا نحو فهم البيئات الإسلامية السيبرية. أوضحت ردود الفعل على أعمالى السابقة أن تلك الأعمال أُستخدمت بنفس القدر فى سياقات حلقات دراسية إسلامية إلى جانب أقسام الجامعات "العلمانية" (وأخرى بين الاثنتين).

لابد للدراسات الإسلامية المعاصرة، بوجه خاص، من تطوير وعى بهذه البيئة (السيبرية)، وفى هذا الصدد يكتسب تعليق ڤاريسكو السابق ذكره أهمية خاصة هنا. وضع بروس لورانس وميريام كوك منهجًا واعيًا يؤدى إلى الاعتراف بتأثير الإنترنت المحتمل ضمن أشكال الخطاب الإسلامى فى عمل سيتحول إلى كتاب يقومان بتحريره، بعنوان "الشبكات الإسلامية". يضم هذا الكتاب عدة فصول تشير إلى تأثير الإنترنت فى السياقات الإسلامية. ساهم دايل أيكلمان وجيمس بسكاتورى وجون أندرسون بعدد من الدراسات المهمة التى تشير إلى أشكال التفاعل بين الميديا والمسلمين والمجتمع. رأت هذه الأبحاث شبكة الإنترنت باعتبارها قناة هامة لمختلف أشكال الاتصالات بين المسلمين، والتى تندمج مع غيرها من أشكال الحوار والتفاعل.

اتخذ هذا الاعتراف الأكاديمى أشكالاً عديدة: قاد جون بى. ألترمان الدراسات المرتبطة بجوانب الميديا، بما فيها الإنترنت، وأثره على منطقة الشرق الاوسط. ركز ألبريشت هوفهاينز على وجه التحديد على السياقات الناطقة بالعربية ومفاهيم

التحرر السياسى، مع إجراء البحث الميدانى على استخدام الإنترنت فى المغرب ومصر والسودان. كما طبقت دِبْرا ويلر البحث الميدانى المستمر أيضًا، واستخدمت منهجًا إثنوغرافيًا فى دراستها عن الإنترنت فى الشرق الأوسط، مركزة على أثره فى الكويت. هناك أمثلة أخرى من الدراسة الأكاديمية الناشئة التى تركز على قضايا محددة ترتبط بالإسلام والمسلمين والإنترنت.

بات البحث حول الإسلام والإنترنت محملاً بالتباينات التى لا تكاد تُلْحَظ فى جوانب محددة من الميديا وانبثقت هذه الأبحاث من أقسام اللاهوت والدراسات الدينية. يتضح هذا فى دراسات جوران لارسون، الذى صمم مسوحات لغرف الدردشة وويكيبيديا فى سياق الإسلام. اشتمل الكتاب الذى حرره لارسون فصلاً ألفه فيليب هالدِن عن أنشطة الإنترنت الجهادية السلفية، ومساهمة من إرميت ماريانى عن أشكال المعرفة الإسلامية على الإنترنت، والفصل الذى كَتَبْتُه عن الفضاء السيبرى الإسلامى بالمملكة المتحدة. ويشار إلى إسهامات ومناهج أخرى فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب. الأمل معقود على أن تسهم هذه الدراسة الحالية أيضا فى فهم مشهد الإنترنت المتطور والمتحول فى سياق الإسلام والمسلمين. ويتواصل الزخم فى مجال الدراسة هذا فى التزايد كرد فعل للمخاوف العالمية المتغيرة وتطور واجهات تكنولوجية ببنية جديدة وسيطة بين الدين/الأديان، وأتباعها، ومجتمعاتها، وممارسيها.

ما يجعل الإنترنت إسلاميًا؟

وفقًا لعلماء المسلمين المعاصرين، وخاصة الناشطين منهم على الإنترنت، فليس ثمة تعارض بين الإسلام بوصفه دينًا وبين تمثيله على الإنترنت. تعتمد تلك الرؤية على الهدف والمقصد والنية التى تطبق تلك الميديا لتحقيقها. ويُترك تحديد ما هو مناسب أو صحيح إسلاميًا على الإنترنت إلى حكم الفرد المسلم. يوضح هذا الكتاب أن طيفًا واسعًا من المناهج التشعبية وأشكال الفهم الإسلامية توجد فى الفضاء

السيبرى، الذى يعكس التحولات السياسية التى طرأت على النماذج والتأثيرات الإسلامية وتحول أنماط العقيدة كرد فعل للتفاعل فى إطار القوالب المفاهيمية والتأويلية. وترتبط تلك القوالب نفسها بالنماذج الأولى التاريخية للتطور المعرفى والاتصال، والتى تحتل مكانة عالية فى الثقافات والمجتمعات الإسلامية.

عن النبى محمد (ص) أنه قال: "اطلبوا العلم ولو فى الصين". يمكن النظر إلى الإنترنت باعتباره امتداداً لذلك الطلب. ولا بد أن نلاحظ هنا أن الدخول على الإنترنت، رغم تحسنه فى كثير من السياقات ذات الأغلبية المسلمة، لا يزال منخفضًا نسبيًا. كما أن ثمة مقاومة لجوانب من استخدامات الإنترنت فى بعض الأوساط الإسلامية. خففت البراجماتية من هذه المقاومة، نظرًا إلى أن هناك جيلاً متعلمًا نشأ وهو ملم إلمامًا كاملاً بتطبيق واجهات الحاسبات كجزء من الترف أو التعليم أو الأعمال، ويطبّقها الآن فى مجال التعبير والفهم الدينى.

أكُلُّ نشاطٍ يقوم به المسلمون على الإنترنت نشاط إسلامى بصورة ضمنية؟ هناك حدود واضحة تبين الأخلاق الإسلامية عدم جواز تخطيها، مثل الدخول على مواقع البورنو أو لعب القمار على الإنترنت. هناك أيضًا مناطق غير متمايزة، خاصة بالنسبة لأولئك الفاعلين الذين يؤمنون بأن القرآن يرشدهم بصورة ضمنية فى كل عمل يقومون به. ويثير هذه صعوبات للأكاديميين الذين لن يحيط تمثيلهم لهذه الحدود بالضرورة بمثل هذه الاعتبارات. ومع وضع هذه النقاط فى الاعتبار، يركز هذا الكتاب فى المقام الأول على الأنشطة على الإنترنت ذات التوجه الدينى الواضح، كما تُعَرِّفها مناهج المسلمين من المتمسكين بها والممارسين لها. اقترح بعض النقاد ضرورة توجيه نقد صريح لبعض الأنشطة على الإنترنت التى تتم باسم الإسلام، ولكن هذا، فى رأيى، من شأنه أن يزيح محاولات الملاحظة المستقلة والموضوعية، وهى بحد ذاتها مصطلحات إشكالية، ولا سيما فى مجال دراسة الأديان.

أكدتُ باستمرار على تنوع التصورات المفاهيمية للإسلام فى الفضاء السيبرى، وهو ما يعكس حقًا جوانب كثيرة من هذه السيولة، وفى الواقع، عدد ظلال المعنى التى يمكن تحديدها فى نطاق هذا الطيف من خلال البحث فى "الاسلام" على الفضاء السيبرى. أعتبر أن أى منظور يتبناه الفرد المسلم عن الإسلام أو تعريفه له مشروع، سواء تقبلته الأغلبية أم كان يعكس وجهة نظر فردية. أدى ذلك ببعض قراء أعمالى إلى طرح آرائهم حول ماهية الإسلام الشرعى وما يتجاوز هذه الحدود. على سبيل المثال، وفى عدة مرات، أثارت أوصاف مثل "المسلمين المثليين" أو طالبان، القلق بزعم أن هذه ليست هويات مسلمة، ولا يمكن إدراجها ضمن التحليلات. ومع ذلك، فإنها عكست خطابات متعددة من مسلمين عن الإسلام، وينبغى، فى رأيى، أن تشكل جزءًا من أى تحليل يتحدث بوجه عام عن الدين، وتأويلاته، والمؤمنين به، وعن تنوعه كما يتمثل فى مناطق متعددة من شبكة الويب العالمية. قد يدل هذا على المنهج الظاهراتى لكتابتى حتى الآن، الذى تأثر بالباحثة نينيان سمارت وغيرها من الباحثين الأكاديميين فى الدين. إن تحديد نموذج واحد للإسلام ولما هو إسلامى يخالف الواقع، سواء على الإنترنت أو خارجه، مع وجود أصداء للخطاب التاريخى الاستشراقى كما أوضحه إدوارد سعيد.

إن تعريف ماهية الإسلام أو الإسلامى أو المسلم قضية مهمة وحساسة. ناقش بيتر ماندفيل تصورًا مفاهيميًا "مرنًا" للإسلام، حيث يشمل شعار الإسلام الواحد كـ"دال رئيس تجريدًا شموليًا يمكن من خلاله أن ينتظم المعنى والخطاب". ويبين كيف يناقض تحديد أنواع مختلفة من "الإسلام" وجهات نظر "الغالبية العظمى من المسلمين" الذين يعتقدون بوجود إسلام واحد.

تقع كيفية تحديد هذا، فى الواقع، خارج نطاق هذا الكتاب. لابد من القول إن عددًا من أشكال التفسير، والتى تندرج تحت راية إسلام واحد أو أشكال متعددة من الإسلام، تشير إلى أن منهجها فى الأساس هو الطريق الشرعى الوحيد الذى

يمكن اتباعه. ويتمثل هذا الأمر كثيراً فى الفضاء السيبرى. قد يكون ذلك الشكل خفيًا أو علنيًا، عدوانيًا أو هادئًا؛ لكن حصرية العقيدة الضمنية تسعى لنزع الشرعية عن الرؤى الأخرى الموجودة ضمن الطيف الإسلامى. ويمكنها أن تحاول القيام بهذا مع الإشارة إلى أمة واحدة أو "جماعة المؤمنين" الأمر الذى يبدو متناقضًا.

أحد الأسئلة المهمة عند النظر فى عناصر نشر المعرفة، والرقابة، والدخول على الإنترنت ضمن البيئات الإسلامية السيبرية، هو طبيعة قراء الإنترنت فى السياقات الإسلامية. مَنْ القراء الذين يمكنهم الاستفادة من الإنترنت لاكتساب المعرفة الدينية عن الاسلام؟ يمكن النظر إلى نماذج مختلفة، من بينها النماذج القائمة على التسويق الاستهلاكى وتطوير المنتجات، فى محاولة لتحديد ما يجعل منتج أى موقع إسلامى جذابًا بالنسبة لشتى أنواع القراء. قد يشير المنتج فى هذا السياق إلى التفاعلية والتواصل الحادث بقدر إشارته إلى المحتوى النصى ومتعدد الوسائط الثابت أو المتدفق والذى يجرى تحديثه بانتظام.

يعرض المسلمون أبعادًا من حياتهم الدينية أو الروحية أو السياسية أو جميعها على الإنترنت من خلال المساحات التى تدمج مواقع الويب، والوسائط المتعددة، وغرف الدردشة، وقوائم البريد الإلكترونى، والتفاعل من خلال منتديات الشبكات الاجتماعية والمحتوى الذى يولده المستخدمون. يتمثل التركيز الأساسى لهذا الكتاب، ومع الاعتراف بتفاعل هذه الأدوات المتنوعة، على شبكة الويب العالمية؛ إذ إنها أكثر أشكال المحتوى الرقمى إتاحة بالنسبة لجمهور الإنترنت، ولا تتطلب عضوية للدخول عليها (فيما عدا فى المواقع المغلقة أو المقصورة على الأعضاء فقط) ولا مهارات فنية محددة للدخول أكثر من المعرفة الأساسية بكيفية عمل متصفح الإنترنت. يكفى خط تليفون وجهاز كمبيوتر بسيط لفتح عالم من المحتوى كان بعيدًا عن دوائر المعرفة الإسلامية، بما فيها مناطق من الويب التى تتطلب عضوية.

ثمة سؤال مهم وهو من الأسئلة التى دفعتنى للبحث فى بداياته فى هذا المجال: ما مدى "إسلامية" تكنولوجيا الإنترنت؟ نوقش هذا الموضوع على الإنترنت بصورة مطولة. ورغم أن هذه الآراء لا تمثل بالضرورة أى رأى سائد، ظهرت هناك بعض التفسيرات والإشارات إلى التكنولوجيا فى مقال نُشِرَ على موقع حزب التحرير khilafah.com.

> شَرَّعَ الله (سبحانه وتعالى) لنا استخدام شتى أنواع التكنولوجيا طالما أنها تُستخدم بطريق حلال. "هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا" (سورة البقرة، الآية ٢٩). وهذا يشمل السيارات والهواتف المحمولة والإنترنت والأقمار الصناعية والصواريخ، وأقراص الفيديو الرقمية (دى ڤى دى). كما استفاد النبى (صلى الله عليه وسلم) من مختلف التكنولوجيات فى عصره، حتى أنه استخدم أسلوب حفر الخندق الذى تعلمه من الفرس فى غزوة الخندق، والمعروفة باسم غزوة الأحزاب. يمكن استخدام التكنولوجيا فى الحلال أو الحرام، فالشىء فى حد ذاته ليس حرامًا لكن ما تفعله به. على سبيل المثال، يمكن استخدام الإنترنت والدى ڤى دى فى الحرام كإشاعة الفاحشة أو يمكن استخدامها فى الحلال لنشر الإسلام.

هذا مثير للاهتمام من حيث استخدامه للقرآن والأحداث من حياة النبى محمد (ص) لتبرير تطبيقات معينة للإنترنت داخل حدود مرسومة. لابد أن نميز هنا بين الأعمال الدينية وغيرها من الأعمال. بعض الأنشطة التى يقوم به المسلمون على الإنترنت ليست دينية أو إسلامية تحديدًا فى توجهها، رغم أن القائمين بها قد

يظهرون سلوكًا إسلاميًا نموذجيًا فى مشاركتهم وتمثيلهم للمبادئ الإسلامية. قد يكون المؤشر غير واضح، وتعيين الحدود الفاصلة بين ما يمثل نشاطًا إسلاميًا أو سلوك المسلم أمر مشكل. وتكفى تحية "السلام عليكم" على الإنترنت لتقدم رسالة إلكترونية مفادها أنها إسلامية، حتى لو كان محتواها مقصوراً على العمل المهنى. كما يمكن النظر إلى التعاملات بـeBay، التى تُستخدم فيها بطاقة السحب من الحساب بدلاً من بطاقة الائتمان التى تتراكم بها الفائدة والتى يراها بعض المفسرين غير إسلامية، كنشاط حلال. من المؤكد أن هناك مجالاً لتحديد آداب الإنترنت الإسلامية، ومواءمة المبادئ التقليدية مع عصر المعلومات.

يتخذ تنويع محتوى الإنترنت أشكالا عديدة، مع إنشاء البرامج الإسلامية شبكات جديدة من الاتصالات فى مختلف جوانب حياة الإنسان. على سبيل المثال، فى المملكة العربية السعودية، كان من المقرر أن تقوم جامعة إلكترونية بعرض قيم إسلامية محددة بالنسبة للجماهير المحلية والدولية. تطور هذا الوعى بالجماهير الدولية على يد وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التى أطلقت موقع إنترنت باللغة الصينية ليس فقط بهدف محاولة الوصول إلى الـ٢٠ مليون مسلم بالصين؛ بل أيضًا لعرض وجهة نظرها على القطاعات الأخرى من جمهور الإنترنت المتزايد فى الصين.

أدت مثل هذه الأنشطة إلى قدر من التأمل الجاد حول طبيعة وجود المسلمين على الإنترنت فى الفضاء السيبرى: تجعل "السيبرة" المتزايدة لحياتنا التفاعل الواقعى أكثر إلحاحًا من أى وقت مضى حتى نظل بشرًا، فقد يمكن أن نسمح لظلال أنفسنا بالتواجد فى الفضاء السيبرى لكن لا يجوز أن نفقد أرواحنا فى الفضاء السيبرى. ولابد أن نرى ما يحدث للإسلام فى عملية سيبرة الإسلام". يشير هذا إلى مناقشات أوسع نطاقًا بشأن التطبيق "الملائم" للوسيط فى السياقات الإسلامية. وقد سعى البعض لتقديم أساليب منهجية وضوابط محددة للإنترنت،

على أساس تصورٍ للقيم الإسلامية. فى المملكة المتحدة، نُشِرَ دليل للآباء والأمهات المسلمين الذين يسعون للتحكم فى استخدام أطفالهم للإنترنت.

يطرح محو الأمية التكنولوجية المصاحبة لأجيال جديدة من القراء وأصحاب المواقع قضايا جديدة بالنسبة لفهمنا للبيئات الإسلامية السيبرية. بالنسبة للمسلمين الذين يسعون وراء الآراء والمشورة الدينية بشأن مثل هذه التطورات، استلزم هذا مساهمة فقهية من "العلماء"، سواء من نصبوا أنفسهم علماء أو من حصلوا على تدريب كلاسيكى أو كليهما، والذين يسعون إلى صقل عناصر برتوكول النت الإسلامى أو الأخلاق التى تواكب التحولات والتغيرات التكنولوجية فى الممارسات الثقافية. يمكن أن يشمل ذلك الاستخدام "المناسب" للماسنچر على الإنترنت مثل MSN، وAIM، وM1 و"مناسبة" الدردشة عبر الإنترنت. وفى رد على سؤال حول استخدام الماسنچر على الإنترنت (وبرامج الدردشة الشبيهة)، ذكر أحد الباحثين قائلاً:

> الإنترنت نعمة أنعم الله تعالى بها علينا، وعلينا أن نشكره عليها. وينبغى لنا أن نعرب عن امتناننا له، عن طريق الاستفادة المثلى منها. وإنه لمن الجحود إساءة استخدام الإنترنت بطرق نعرف أنها غير لائقة.
>
> الماسنچر من بين خدمات الإنترنت، لكن بعض الناس يتجاهلون الأخلاق الإسلامية القويمة عند استخدامه. إحدى حالات هذا التجاهل هى الدردشة غير الضرورية بين أفراد من الجنسين، والتى ربما انطوت على مخاطر غير مرغوب فيها. يجب أن ندرأ الشرور التى يوسوس بها الشيطان، فهو يغرى الناس بشتى الطرق والوسائل الخادعة.

طبقت المناقشة التى أعقبت ذلك الإحالات القرآنية لتبرير أنماط سلوك محدد فى

استخدام الماسنجر. وشمل هذا التأكد أن المتصفحين "على الجانب الآخر" لديهم الوقت للدردشة، وأن محتوى المناقشة "لائق". أوضح رد ذو صلة على الدردشة أن "الدردشة مع أفراد من الجنس الآخر، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، شخصيًا وجهًا لوجه، أو على خطوط الهاتف تقع جميعها ضمن نفس الفئة، حرامها حرام، وحلالها حلال".

يشير هذا إلى أنماط معينة من المسموح به (الحلال) والمنهى عنه (الحرام)، والتى تعكس مفاهيم ومبادئ مماثلة لسياقات إسلامية أخرى، كما جاء فى مقالة أخرى على موقع "الإسلام أون لاين": "الدردشة على الإنترنت شديدة الشبه بكتابة الخطابات أو التحدث إلى شخص ما على الهاتف. فى الواقع، الدردشة مزيج من الاثنين. وعلى المسلمين مراعاة القواعد نفسها التى يراعونها أثناء كتابة الخطابات أو إجراء المكالمات الهاتفية. لا يسمح الإسلام بتبادل رسائل الحب أو المحادثات الحميمة بين الذكور والإناث غير المتزوجين مع بعضهم".

تطور "إتيكيت" النت الإسلامى جزء من عملية مستمرة تتضمن تطبيق المبادئ المستقاة من المصادر الإسلامية الأولية وتفسيرها لتلبية الاحتياجات والسياقات المعاصرة. يشير هذا المنهج، فى بعض النواحى، إلى شكل من أشكال الاجتهاد، وهو مصطلح يربط ممارسات العلماء التاريخية والمعاصرة فى اشتقاق المعنى التفسيرى والمماثل من مصادر إسلامية بما يتناسب مع ضرورة وضع ما.

لتسليط الضوء على المخاطر المتصورة للإنترنت وتكنولوجيا الحاسب سوق تتجاوز البيئات الإسلامية السيبرية. فإلى جانب مناقشة الإسلام، فإن العنصرين يضمران من القوة ما يكفى لتوليد الخوف، سواء من المنظور الداخلى أو الخارجى. ظهرت أيضًا حوارات حول إساءة الاستخدام المتصورة للإنترنت، والتى قد تتناقض أو لا تتناقض مع تعاليم الدين الإسلامى. بعض هذه الحوارات تدور حول طبيعة المحتوى والحوار، بينما يمثل البعض الآخر مجرد إيحاءات بأن إلهاء الإنترنت مضرٌ

بالأعمال أو الشركات: "تكلف إساءة استخدام موظفى الشركات السعودية للإنترنت الملايين من الريالات سنويًا، وفقا لمسح أجرى فى المملكة. نحو ٣٠ بالمائة من الشركات الصغيرة ومتوسطة الحجم تفقد أكثر من يوم عمل من كل أسبوع بسبب سوء استخدام الموظفين للنت". ولم يوضح التقرير ما إذا كانت إساءة الاستخدام هذه مجرد تصفح موظف للإنترنت، أو الدردشة على الإنترنت، أو زيارة المناطق الأكثر إثارة للجدل وصريحة الارتباط بالإنترنت.

استكشف عدد من الكتاب والصحفيين الإمكانية الإيجابية والسلبية للإنترنت فى السياقات الإسلامية. فى باكستان، ذكر راضى عزمى أنه: "يمكن استخدام الإنترنت، كالديناميت والطاقة النووية، بطريقة بناءة أو مدمرة، بطريقة سلبية أو إيجابية. فهو أداة، قوة مضاعفة هائلة، يمكن استخدامها لنشر المعارف وتمثلها أو للدعوة للجهل، والتشوهات وأنصاف الحقائق". صُنِّف الميل إلى إلقاء مسئولية الأمراض المجتمعية على الإنترنت فى بعض الأوساط بالقول بأن الشكوى واللوم لا يكفيان؛ إذ لابد من مواجهة التحدى على الإنترنت.

يمكن لمس أثر الإنترنت فى مختلف قطاعات العقائد الإسلامية، مع وجود قيود متأصلة فى بعض السياقات الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية. يذكر كارل إرنست:

> الغالبية العظمى من المشاركين فى التقاليد الصوفية فى البلدان المسلمة لا تزال تنتمى إلى الشرائح الاجتماعية التى تحصل على القليل للغاية من أحدث أشكال الاتصالات الإلكترونية، وكثير منهم أميون بالفعل. لا يتمثل المريدون المنتمون للطبقة الأدنى الذين يحضرون موالد أولياء الصوفية فى مصر وباكستان على الإنترنت. ويحتمل أن يكون أثر انتشار

تكنولوجيات الإنترنت هو "تعزيز الشبكات الاجتماعية المهيمنة ثقافيًا، فضلاً عن زيادة كونيتها وعولمتها". وكما هو متوقع، يميل كُتَّاب مواقع الويب الصوفية إلى أن يكونوا أعضاء بالطبقات الكوزموبوليتانية والمعولمة: سواء أقطاب الصوفية المهاجرين الذين أقاموا قواعد جديدة فى أمريكا وأوروبا، أو التكنوقراط المهاجرين الذين تصادف أن يكون لهم انتماءات صوفية، أو الذين اعتنقوا الصوفية من الأوروبيين والأمريكيين بشكل أو آخر.

هذا الوعى المتطور بالمسلمين الافتراضيين وعىٌ مهم يكبح أى اندفاع نحو افتراضات حول القوى التحويلية المباشرة للإنترنت. وكما ناقشت فى مواضع أخرى، لا تزال العديد من القطاعات والطوائف غير متأثرة أو غير مهتمة بدور الإنترنت المرتبط بالإسلام، فى وجود مَنْ يتمادون ويَدعُون إلى تجنب استخدام التكنولوجيا.

يقدم مفهوم "الأمة الافتراضية" بالتالى بعض جوانب القصور الكامنة من حيث المستخدمون والأثر. وتُعَرَّف هذه الأمة بأنها تمثل جماعة المؤمنين فى جميع أنحاء العالم (عبر المكان والزمان)، وتوجد أصولها فى القرآن وفى أحاديث النبى محمد (ص). استكشف أوليفييه رُوىْ فكرة الأمة وكيفية تشكيلها على الإنترنت: "الأمة الافتراضية على الإنترنت هى المكان المثالى للأفراد للتعبير عن أنفسهم فيما يدّعون لأنفسهم الانتماء إلى جماعة يساهمون فى نشأتها، بدلاً من أن يكونوا أعضاء سلبيين".

أود أن أشير إلى أنه، بدلاً من الأمة الواحدة التى رُسِمَت لها صورة مثالية كمفهوم إسلامى كلاسيكى، هناك العديد من أطر الأمة الموازية التى تعمل فى

الفضاء السيبرى، والتى تعكس أفكاراً متنوعة عن مفاهيم الجماعة. وهذا يعكس تصورات الهوية والسلطة الإسلامية على الإنترنت التى تجد صداها فى أفكار مماثلة فى العالم غير الرقمى والتى يمكن أن ترعى أيضاً شبكات جديدة من أشكال الفهم فى الفضاء السيبرى. إنها ظاهرة طبيعية لجيل ملم بالنت فى سعيه للبحث عن حقائق وانتماءات معينة على الإنترنت عندما يتعذر الوصول إليها فى مسجد محلى أو فى سياق المجتمع. يمكن أن يتم هذا من خلال قنوات المعلومات الرسمية، ومن ضمنها البوابات الإسلامية التى تنتمى للاعبين الرئيسيين فى البيئات الإسلامية السيبرية. وبالمثل، يمكن أن تنطوى على إمكانية الوصول إلى قوائم المناقشات والمنتديات، حيث يمكن نشر الأسئلة، إلى مجموعات الأقران فى أغلب الأحيان.

بات الإنترنت أداة التواصل الأساسية لكثير من الجماعات والأفراد المسلمين. كشف الإنترنت للأفراد والجماعات تفسيرات وتأثيرات جديدة، ليفى بحاجة أولئك الذين يبحثون عن المعرفة غير المتوفرة فى السياقات المحلية. ويتجاوز هذا النماذج الأساسية البسيطة لسياقات الأغلبية والأقلية. ويمكن، على سبيل المثال، أن تضم فاعلين تحرروا من أسر تفسير الغالبية للإسلام – غالباً تفسير ترعاه الدولة فى بلد يتمتع بأغلبية سكانية مسلمة. أدت أطر المرجعية الجديدة، بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم محرومين من الحقوق أو لا يمثلهم الوضع الراهن فى العالم الحقيقى، لتطوير شبكات سيبرية جديدة من التفاهم الإسلامى. تعتمد هذه الشبكات غالباً على قراءات بديلة لمواد المصادر الإسلامية خارج التأثيرات "التقليدية" والتى تسيطر عليها الدولة.

وبالطبع، لم يرحب الكل بهذه التطورات، لاسيما أولئك الذين يسعون للحفاظ على الوضع القائم للمعرفة والتفسير من خلال تطوير الحواجز المصطنعة التى تحول بين قيام الأفراد والجماعات واستكشاف أشكال الفهم البديلة للإسلام. على

سبيل المثال، قد يستشير الآن أولئك الذين استشاروا "العلماء" السنة "التقليديين" المقيمين في مجتمعاتهم، والذين تلقوا تدريبهم في العلوم الإسلامية في مؤسسات كالأزهر، "عالمًا" مقيمًا في الفضاء السيبري يفتقد إلى هذه المؤهلات. وقد تكون خلفيات "العلماء" السيبريين متجذرة في مهارات لا تمت بصلة إلى التدريب المعترف به في مبادئ الشريعة الإسلامية، أو "أصول الفقه". وهذا لا ينزع شرعية هؤلاء في نظر الشخص الذي يدخل على موقع هذا "العَالِم". قد يملك العَالِم (الذي عادةً ما يكون ذكرًا) سمات أخرى، ترتبط بنسب أسرته، الذي يرجع إلى أحد الأقارب المهمين من ذوي الكاريزما المقدسة/الدينية الفطرية أو السلطة (البركة)، أو الانتماء إلى منظمة دينية أو سياسية معينة أو كليهما. وقد يظهر بقوة أيضًا في كلمات البحث الرئيسية في جوجل. ولا تقتصر هذه الظاهرة على الفضاء السيبري، لكن هذا الوسيط صار نقطة تركيز واضحة لهذه التطورات. تعرضت تقاليد المرجعية الدينية إلى تحدٍ من تلك الشبكات والمنظمات وعزم الأفراد على إعادة تعريف الإسلام في العصر الرقمي.

إن بناء نماذج للتفسير والفهم تتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية نشاطٌ معقد بطبيعته، كما ذكر أيكلمان وأندرسون: "دور الميديا الجديدة في توسيع نطاق مجالات الإسلام العامة، في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة والشبكات الإسلامية الممتدة عبر الحدود القومية، دور معقد ومتعدد الأبعاد بمقدار تعقّد اتصالات هذه المجالات وتعددها محليًا ودوليًا. وإذا كان لا يمكن التنبؤ بهذا الدور، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لعواقبه؛ فتآكل المسافة الاجتماعية وتكاثر أعداد من يمكن أن يقوموا بدور القدوة يعيد تشكيل معاني المحلي والكوكبي، في وجود الميديا الجديدة وسيلة لهم".

إن عدم القدرة على التنبؤ بما يحدث على الشبكات عامل مهم، في وجود طفرات في التكنولوجيا السريعة والالتزام الناشئ استجابة لأحداث ضمن المجالات المحلية

والكوكبية. أود أن نتفق على أنه علينا إعادة النظر فى المقصود بـ"المحلى" و"الكوكبى". وأعتقد، فيما يتعلق بالمسلمين الافتراضيين، أن عملية إعادة النظر هذه نشاط داخلى لأصحاب المواقع ومقدمى الخدمات الإسلامية الذين يعيدون تقييم شبكاتهم، ونشاط خارجى للباحثين (المسلمين وغيرهم) الساعين لتخطيط وتفسير إعادة ربط [شتات] دار الإسلام. ويمكن لأولئك العاملين ضمن البيئات الإسلامية السيبرية التى تعيد تقييم شبكاتها ومحتواها باستمرار التمتع بميزة عن أولئك الذين لا يزال إنتاجهم وانتماءاتهم فى طور الثبات. أما فى المجالات السيبرية الإسلامية الديناميكية والمتطورة، والمتقاطعة، على الصعيدين المحلى والكوكبى، فهناك جمهور ملم بالويب وعلى دراية بتطورات الإنترنت الحديثة التى تحتضن وهج الابتكار التكنولوجى على الإنترنت باسم الإسلام. وهم لا يرون تناقضاً بين الإسلام والإنترنت وينظرون إلى الويب كأداة لتعزيز الدعوة والترابط بين رؤاهم الإسلامية للعالم.

لإعادة التشكيل هذا تأكيد أيديولوجى وتأويلى لافت للنظر. فعلى الإنترنت، تأثر عدد من المواقع بشكل مباشر أو غير مباشر بجوانب المرجعية والتفسير المنبثقة من تعريفات الوهابية والسلفية والقطبية الفضفاضة، وما يرادفها من سياقات تفسيرية سياسية/دينية. لا تمدنا المواقع بالضرورة بمؤشرات واضحة عمن يقوم بالتمويل والدعم أو كتابة المحتوى.

جاء هذا إلى بؤرة الاهتمام بشكل خاص عند استكشاف مواقع الويب التى تقدم ترجمات وتفسيراً لمعانى القرآن. تُعرض هذه الترجمات والتفسيرات على الإنترنت باعتبارها التفسيرات السائدة، لكنها يمكن أن تعكس أى جانب من جوانب مصفوفات التفسير الإسلامى دون تحديد واضح بالضرورة لأى منها. برز هذا بالنسبة لى عندما كنت أدرس الإسلام، وحينما كان يقدم الطلاب لى المحتوى التفسيرى للقرآن فى أبحاثهم. كانت هذه المادة مستمدة من مصادر مترجمة على

الإنترنت تمثل رؤى دينية–سياسية إسلامية، والتى صُنِّفَت على المواقع باعتبارها "سائدة" أو "تقليدية" أو سنية". لكن الواضح أنها لم تكن كذلك.

كان جزء من عملية التدريس التى كنت أقوم بها هو أن أوضح لهؤلاء الطلاب ضرورة تحليل مثل هذه التفسيرات من أجل تحديد أطرها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية قبل استخدامها فى أبحاثهم. فى بعض الحالات، بيَّن هذا التحليل أن التفسيرات استُمِدَّت من محتوى من مصادر سياسية ذات توجه إسلامى "متشدد"، والذى لا يُحْسَب على آراء الأغلبية. هذا لا ينفى صحة هذا التفسير، بالضرورة، ولكنه يعزز الحاجة إلى الوعى بانتماءات مقدمى المحتوى على مواقع الويب.

وفيما يتعلق بهذه النقطة، يمكن أن تُسْتَمَد نسبة كبيرة من محتوى التفسيرات القرآنية على الإنترنت من مصادر قد يحدَّد بعضها على أنها ذات توجه "متأثر بالوهابية". وتشمل هذه عدداً من المواقع التى ظهرت من قِبَل المؤسسات والجهات الدينية السعودية، أو مُوِّلت من قِبَلِها. توفر هذه المؤسسات والجهات "الفتاوى" والآراء الموثوقة للجمهور المحلى والعالمى. تمثِّل هذه المؤسسات نفسها كجزء من التيار السائد وتشير إلى تفسيرها على أنه النموذج الإسلامى الوحيد الذى يجب اتباعه، لكنها فى الحقيقة تمثل جانبًا واحداً من طيف أكثر تعقيداً من أشكال الفهم الإسلامية. تحدَّث بعض العلماء عن "تحويل" الإسلام "إلى المذهب السنى"، بالاستناد إلى هذا النموذج الوهابى، الذى ينفى مراراً وتكراراً غيره من وجهات النظر الدينية الإسلامية ويدينها. وأدى المزج بين العضلات المالية واستراتيجيات الاتصالات المتطورة إلى تعزيز أهداف البعثات الإسلامية المستندة إلى نماذج تفسيرية متأثرة بالوهابية. كما أثرت أيضاً فى النماذج البديلة للفهم الإسلامى التى تسعى لزيادة أنشطتها على الإنترنت لمواجهة هيمنة هذه التأثيرات فى البيئات الإسلامية السيبرية.

ظهرت المادة المتأثرة بالوهابية فى سياقات متنوعة على الإنترنت من مجموعة متنوعة من المصادر الثقافية واللغوية. على سبيل المثال، هناك عدد من المواقع أُطْلِقَت فى باكستان وماليزيا، تحتوى على مواد يمكن أن يسميها البعض وهابية أو سلفية لكن مؤلفيها سيصفونها ببساطة بالإسلامية. وهذا يثير أيضًا بعض القضايا الهامة حول كيفية نشر الإسلام وتسويقه عالميًا – ليس فقط من خلال الميديا الرقمية، وخاصة فى السياقات غير المسلمة. يدرك رُوى أن هناك تجانسًا فى محتوى الإنترنت الإسلامى: "إذا دَخَلْتَ على الإنترنت باللغة الإنجليزية أو بالعربية الحديثة ستجد أن كل الكتابات قام بها السلفيون والوهابيون [الراديكاليون] الخ. من الأهمية بمكان أن الشباب المسلم المتعلم الذين يسافرون إلى بلدان أخرى للدراسة ونحوها يطّلعون على هذه المواقع. إنهم يتبادلون المعلومات. ولا أستطيع أن أقول الشىء نفسه عن الإسلام الليبرالى، [الذى تتسم أفكاره] بأنها أقل انتشارًا".

ولئن كان من الصعب تبرير مثل هذه المقولة على أسس علمية كمية، فإن مصطلح "الإسلام الليبرالى" يتطلب بعض الشرح والتفصيل. هناك شعور بأن للخطاب الوهابى والسلفى دورًا بارزًا فى الفضاء السيبرى. هذه المصطلحات أساسًا مصطلحات عامة يمكن تقسيمها إلى تعريفات متعددة وليس بالضرورة متكاملة، وتعكس نطاقًا من المصالح الدينية والسياسية. لكن تلعب ظلال الرأى الأخرى أيضًا دورًا مهمًا، كما سنرى لاحقًا فى هذا الكتاب.

جعل عدد من الحركات الإسلامية ميديا الإنترنت جزءًا لا يتجزأ من ثقافتها الاتصالاتية، لاسيما كوسيلة لنشر رؤيتها للعالم، وأيضًا للاتصال والحصول على التمويل. وتُعتبر بعض الرموز المرتبطة بتفسير الإسلام بطبيعتها أكثر ملاءمة مفاهيميًا لفكرة الفضاء والاتصالات التى يقوم الإنترنت بتسهيلها. يشير روى ضمنًا إلى هذه النقطة فى نقاشه عن "الأصولية الجديدة".

> إنها تنظر إلى العولمة باعتبارها فرصة طيبة لإعادة بناء الأمة الإسلامية على أساس دينى بحت، ليس

بمعنى فصل الدين عن الثقافة والسياسة، لكن إلى حد أن ينبذ الدين المجالات الأخرى من الممارسات الرمزية بل ويتجاهلها. تدعو الأصولية الجديدة إلى اجتثاث الممارسات الدينية من سياقها. وبهذا المعنى فقد تكيفت تمامًا مع أحد الأبعاد الأساسية للعولمة المعاصرة؛ وهو تحويل السلوكيات البشرية إلى شفرات، وأنماط استهلاك واتصالات، وفصلها عن أية ثقافة محددة.

يظل المدى الذى ينجح من خلاله مثل هذا الإطار للأصولية الجديدة فى تحييد الممارسات الدينية واجتثاثها من سياقها سؤالاً مفتوحًا، رغم أن هذا قد يبدو ظاهريًا أنه الحال بالنسبة لمن يلاحظ بعض مواقع الإنترنت ملاحظة عابرة. ولا يزال بإمكان تفكيك مزيج الولاءات والتأثيرات، والتى قد توجد مدفونة فى النص الفوقى والفصل بينهما، بإمكانه الكشف عن روابط ثقافية وسياسية محددة. يمكن أن يُعْرَض المعنى الشمولى فى الفضاء السيبرى لكنه معرّض للانكشاف من خلال النص التحتى ضمن السلوك الإنسانى المشفر. لا يوجد شىء اسمه الحياد النقى للولاءات داخل التفسيرات، حتى وفقًا للقرآن، الذى يشير إلى أن نموذج الجماعة الواحدة المتفردة يتعارض مع واقع الطبيعة البشرية: "يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".

إلا أن القرآن أيضًا ذكر أن مفهوم "الأمة الواحدة" يمكن أن يعمل داخل هذا الإطار، وهو عامل يبرز فى بعض الترجمات والتفسيرات أكثر من غيره: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ".

قد تكون "الأمة الواحدة" قادرة على دمج التنوع المشار إليه تحت لوائها. فالمدى الذى تجلى فيه هذا فى السياق المعولم، لاسيما فى الفضاء السيبرى، مختلف تمامًا

عن ذلك السياق الذى تم التعبير عنه فى القرن السابع الميلادى، عندما تلقى محمد (ص) الوحى بالقرآن من الله عن طريق الملاك جبريل.

وسواء كانت الأمة واحدةً أم لا فهذا موضوع خارج عن نطاق هذا الكتاب. ما يمكننا قوله هو أنها تُعرَّف داخل هذا المجتمع (أو الشبكة المترابطة) بوصفها أمة. يُسَهِّل الإنترنت الاتصال الذى من شأنه أن يجعل الأمة أكثر تماسكًا، ولكنه يمثل أيضًا التنوع ويكشف عنه فى التعبير والفهم، الأمر الذى من شأنه تسهيل الانقسامات داخل الإسلام بدلاً من رأبها.

عند دراسة هذه المسألة، علينا أن نضع فى الاعتبار الطرق الديناميكية التى تُستخدم بها غرف الدردشة، وتطبيقات الإنترنت، وقوائم البريد الإلكترونى لتمثيل المصالح الإسلامية المتنوعة، وإن لم تكن متوافقة تباديًا بالضرورة. لابد من التأكيد أيضًا على أن المسلمين "الليبراليين" و"التقدميين" استخدموا الإنترنت بطرق ديناميكية، وخاصة فى سياقات الأقلية.

أضف إلى هذه المعادلة أثر شتى أشكال المرجعيات الدينية. يمكن أن تتخذ هذه الأشكال هيئة جهات فاعلة ومؤسسات تقدم رؤيتها للعالم بوسائل يمكن أن تلتف حول الأشكال التقليدية لنقل المعرفة، لتدخل مجالات الاتصالات المتداخلة. ويلاحظ روى قائلاً:

> يصل الكثير من رجال الدين إلى جمهور جديد عن طريق ترك فضاء "المدارس الدينية" والحوزات الدينية الجماعية للحديث فى الإذاعة أو التليفزيون، والكتابة فى المجلات غير الدينية، والعمل بمثابة مسئول دينى فى المؤسسات العادية (على سبيل المثال، عمرو خالد فى مصر)، أو التدريس فى الجامعات الحكومية. وهكذا يصبحون مشاركين فى منطقة تداخل الخطوط

المعاصرة بين المجالات الدينية والدنيوية. تركوا وراءهم العالم الدينى (وزى رجال الدين فى كثير من الأحيان، كما فعل عمرو خالد) لمخاطبة جمهور عادى، ليس كممثلين لأية مؤسسة دينية، وإنما كمفكرين وكتاب أفراد.

من المؤكد أن لعبادة الفرد منطقة قابلة للحياة داخل البيئات الإسلامية السيبرية. وكما هو الحال مع قطاعات الإنترنت الأخرى، وُفِّرَت مساحة على الإنترنت لتسهيل عملية الوصول التدريجى لوجهات النظر الفردية، والتى يمكنها أن تحصل على سوق من خلال "الذيل الطويل" (الذى سنناقشه أدناه). فى الحقيقة، فإن عمرو خالد فرد تدعمه إمكانيات كبيرة بهدف توصيل رسالته الشعبية إلى جمهور كوكبى. كما يمكِّن تماهى الخطوط الفاصلة بين المجالين الدينى والدنيوى الأفراد من تكوين مثل هؤلاء الأفراد سمعة لأنفسهم وآرائهم فى فضاءات "بديلة".

تتجاوز هذه الفضاءات الحدود والضوابط التقليدية، حيث توفر سياقًا يمكن من خلاله تبادل الرأى فى أماكن أمان نسبى لأصحابها. قد تكون بعض هذه الحوارات مجهولة المصدر أو قد يضطلع بها مشاركون يمارسون إجراءات أمنية على الإنترنت. وتتعارض بعض الآراء مع الأطر القانونية فى السياقات المختلفة (الإسلامية وغيرها). فهى تمثل تحديًا لأطر السلطة السياسية التقليدية بطريقة خارج خيارات التحكم بالنسبة لجهات الدولة والحكومة. وقد يتجاوز هذا حدود الجنسية والأطر الدينية – الثقافية، لتدخل شكلاً جديدًا من الخطاب. يعكس هذا ما ناقشه ماندفيل كدليل على "نوع جديد من المفكرين الإسلاميين الذين يحتمل أن توجد برامجهم السياسية على شريط كاسيت مسموع أو مطبوعة فى كتيب أكثر من أن تُسمَع فى المساجد. غالبًا ما يكون الخطاب الشعبوى لهذا النوع من المفكرين الجدد مضادًا للدولة بشكل واضح، ويصدر من مساحات وأماكن بعيدة عن متناول السلطة السياسية الرسمية المأسسة.

يرتبط بهذا تلك الظاهرة التى برزت والمتمثلة فى صعود الأئمة والعلماء ذوى المكانة المنخفضة نسبيًا (من مناطق لا ترتبط عادةً بمركزية المرجعية الإسلامية) والذين حققوا واجهة كوكبية عالية على الإنترنت تتفوق على مكانة علماء التيار السائد الأكثر تقليدية. ولَّدَ تكريس مثل هؤلاء "العلماء" السيبريين لتأليف محتوىً ضخم ويسير على القارئ على الإنترنت حول قضايا محورية ومشكلات أساسية، ولَّدَ مستوىً أعلى من الوعى بشتى وجهات النظر الإسلامية التى كانت من قبل مستغلقة أو أنها تعرضت للنسيان والتجاهل.

أساليب تطوير المحتوى وطريقة عرضه من الأمور الحاسمة. ببساطة لم يكن وضع المواد التى كانت متوفرة على هيئة مطبوعات على الإنترنت، دون أى اعتبار للتصميم أو سهولة التصفح، أسلوبًا ناجحًا بالنسبة لذلك الوسيط الجديد. ينبغى أن يشكل الانتباه إلى وجهات نظر چاكوب نلسون وغيره بشأن تصميم الويب جزءًا أساسيًا من المنهج الدراسى لأولئك "العلماء" السيبريين لتعلم تطبيق HTML. وتمشيًا مع مناطق الإنترنت الأخرى، لابد أن يصاحب التطبيق الخلاق للأدوات مثل محركات البحث والآر إس وسهولة التصفح ووضوح الصفحة مصداقية الموقع. هل يجرى تحميل الصفحة بأسلوب سليم؟ هل يمكن لمتصفح عادى مشاهدتها، خاصة عن طريق خط تليفون تقليدى على جهاز كمبيوتر متواضع؟ هل الموقع تفاعلى مع قرائه؟ هذه هى الأسئلة الجادة التى لابد أن تسألها عن أى موقع إسلامى على الإنترنت فى منطقة مشبعة بالفعل من الفضاء السيبرى. سيألف زوار الويب المعتادون ظاهرة أن نطاق انتباه القراء سرعان ما سيتشتت ما لم يسهل تحديد موقع المحتوى أو تصفحه.

تزايد زخم الدافع للدخول على الإنترنت باسم الإسلام. كما يكتسب نمو المواد بلغات أخرى غير الإنجليزية، وهى اللغة التى سادت الخطاب الإسلامى على الإنترنت سابقًا، أهمية خاصة. ومع تحسن الدخول على الإنترنت، والتكنولوجيا

الأرخص، والبرمجيات المحسنة، بات من السهل على الأفراد ألا يكونوا قراء سلبيين فقط، بل أن يدخلوا على الإنترنت وينشروا آراءهم الخاصة أيضًا. كما يمكن الآن لذوى المهارات التقنية الأساسية الدخول على الإنترنت وإنشاء موقع على الويب أو مدونة أو قائمة بريد إلكترونى. ويمكنهم إضافة رموز إسلامية لها، مثل اقتباسات من القرآن أو صور من مكة المكرمة أو صور زعماء روحيين.

تعرض بعض المواقع صفحات تشير إشارة ضمنية إلى أنها مرجعيات دينية. ربما لا تكون تلك المرجعيات مدربة تدريبًا تقليديًا فى العلوم الإسلامية. لكن هذا لا ينزع عنها الشرعية بالضرورة، فالإنترنت يعكس جدلاً أوسع كان إرهاصًا لتوسع الوسيط، أى طبيعة المرجعية الدينية وإضفاء الشرعية على سلطة تفسير المصادر الإسلامية. كشف الإنترنت أمام بعض المسلمين تفسيرات للإسلام خارج التيار السائد، بعيدًا عن نظرتهم الدينية-الثقافية الخاصة. ربما انطلق هؤلاء بحثًا عن هذه الآراء أو عثروا عليها "عن طريق الخطأ". وربما أحدثت لوغريتمات ونماذج محركات البحث أثرًا أيديولوجيًا. مثّل هذا التحدى من التأثيرات البديلة مشكلة بالنسبة للمرجعيات التقليدية، لاسيما البعض الذين اختاروا أن يتجاهلوا الإنترنت. كما يمكن لبعض المواقع أن تشكل تحديات بالنسبة للمفاهيم الراسخة حول الهوية والمعرفة الدينية.

يبين الإنترنت سيولة الهويات الإسلامية والمسلمة بل وهشاشتها أحيانًا، حيث تعبر جماعات وتفسيرات متنوعة عن نفسها فى مختلف السياقات والأطر بل وتعدِّل من توجهاتها. ويشمل هذا أشكال الخطاب، والتفسير، والسلطة السياسية-الدينية داخل شرائح المجتمعات وبينها. وهكذا، تكشف البيئات الإسلامية السيبرية أمام المسلمين الافتراضيين أفكارًا ومفاهيم بديلة وجذور/مسارات نحو شبكات المعرفة التقليدية والمرجعية الدينية.

حدثت صحوة النشاط الإسلامى-السيبرى خلال فترة ما زالت مستمرة، مع

حالات صعود فى النشاط تنشأ بالتزامن مع الأحداث الهامة، ولاسيما ٩/١١ وحرب الخليج الثانية. ربما بالغت چيل كيبل فى تقدير تأثير حملة الفضاء السيبرى هذه: "مَحَت حرب العراق من خلال تغطيتها على الإنترنت الحدود الجغرافية لدار الإسلام ودار الحرب، والتى نظمت الجغرافيا السياسية الإسلامية لمدة أربعة عشر قرنًا". ومن الخطورة التعميم فى هذا على عدد من المستويات، لأن هذه المجالات كانت تتسم بالسيولة بالتأكيد وتخضع لتعريفات متعددة قبل بدء هذه الحرب بسنوات عديدة. ومع ذلك، فإن كيبل على حق حينما تؤكد على أن الإنترنت كان له بعض التأثير على كيفية هيكلة الجغرافيا السياسية الإسلامية خلال القرن الخامس عشر الهجرى. وهذا يعكس الطرق التى من خلالها استخدمت مقاربات مختلفة تجاه الإنترنت باسم الإسلام.

ملامح المسلمين الافتراضيين

يوازى التطور المطرد فى الطرق التى تُستخدم بها الوسائط المتعددة داخل البيئات الإسلامية السيبرية التطور فى ويب ٢,٠ وتمثل هذه التطورات استثماراً دائمًا فى الوقت والموارد، بما يعكس التوفر المتزايد للمعدات عالية الجودة للاستخدام المنزلى العادى، من بينها برمجيات تحرير النصوص ومعدات الإنتاج مثل الكاميرات الرقمية. وترتبط شعبيتها بنمو الـ ADSL ذى النطاق العريض والاتصال بموارد قادرة على استضافة ملفات كبيرة وحركة واسعة على الموقع. ويدل استخدام الرموز والأيقونات الدينية فى هذه السياقات الرقمية الإسلامية على توسع الميديا التقليدية لتصبح بُنىً سيبرية.

بافتراض الطبيعة السائلة والعشوائية التى يمكن للتصفح على الإنترنت أن يتخذها، يثير قياس أثر أى موقع عدداً من القضايا، وخاصة نوع البيانات التى يُعتمد عليها التأكد من ذلك الأثر. عدد الانطباعات أو مرات الدخول على الصفحات على عدد موقع ويب ما ليس مؤشراً لكيفية قراءة الزائر أو استخدامه لصفحة ما أو

مقدار الوقت الذي قُضِيَ في استيعاب المحتوى، حيث إنه يمكن لأصحاب المواقع التلاعب بالتاريخ. وكما يعرف أي مستخدم للإنترنت، يمكن أن يتخذ تصفح صفحات الويب أساليب متعددة. يمثل التحديد الكمي للزيارات الفريدة وانطباعات الصفحات مشكلة في حد ذاتها، لاسيما في مجال البيئات الإسلامية السيبرية، في غياب مسوح المستخدمين واسعة النطاق التي تجرى على مستوى القاعدة أي على مستوى المستخدم النهائي. قد تكون الخصوصية عاملاً أساسيًا لأي مستخدم لمثل هذا المحتوى، وخاصة عندما تتجاوز معاييرهم الثقافية والدينية.

علينا أن ننظر في كيفية تطبيق القراء للمواد الدينية، لأن هناك تنوعًا كبيرًا في الأساليب. على سبيل المثال، يمكن إنشاء النماذج التي فيها يستخدم الأفراد الويب مصدرًا وحيدًا للمعرفة عن الإسلام. وقد يعتمد آخرون على أسلوب مقارن، حيث يزورون مواقع متعددة للحصول على المعلومات. وربما يكون لتلك المعرفة أثرٌ يغيّر حياة الفرد تمامًا. قد لا يستخدم بعض القراء النت إلا نادرًا للحصول على معلومات عن الإسلام. فيما قد يرغب البعض الآخر فقط في الاطلاع على محتوى البيئات الإسلامية السيبرية أو التسلي بها. وربما يزورون المواقع لمدة دقيقة واحدة أو يبقون لعدة ساعات، وقد تكون الزيارة فريدة أو جزءًا من نمط التصفح المعتاد، أو تشمل فحصًا منتظمًا على المواقع من أجل الاطلاع على آخر المعلومات.

هناك عوامل متغيرة مرنة مرتبطة باستخدام الإنترنت في جميع السياقات، وليس فقط في البيئات الإسلامية السيبرية. يمكن أن يشكل الورع الديني والإحساس بالالتزام جزءًا من معادلة المعرفة الكلية على الإنترنت. ويمكن أن يتشابك ذلك الاستخدام مع غيره من التطورات التكنولوجية. من الأمثلة على ذلك إدماج تطبيقات القرآن على الهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمي الشخصي، ووسائل الإعلام الأخرى. ولا تُطرح الأسئلة فقط عن كيفية تطبيق هذه التكنولوجيا واستخدامها، بل أيضًا عن مدى الوثوق بمواد هذه المصادر ومصداقيتها.

يمكن تشكيل نماذج استخدام الإنترنت فى سياق إسلامى سيبرى بطرق شتى. استندتُ إلى نماذج بيزنس مُعَدَّلة لعلاقات منتجات المستخدمين من أجل تفحص أنواع قراء موقع ما على الويب كجزء من علاقة هرمية. يشمل هذا فئات تراتبية من الزعماء والأبطال والأنصار النشطين والأنصار/المستخدمين الموثوق بهم والأنصار/المستخدمين العاديين، والأنصار/المستخدمين المحتملين. يمكن رؤية هذا الهرم بطرق شتى فى سياق الويب ٢,٠ بصفة عامة، وسياق البيئات الإسلامية السيبرية بصفة خاصة. وقد يكون هناك تسلسل تراتبى للزعماء والأبطال يمثل نموذجًا أكثر تقليدية لنشر المعرفة. لكن ربما يكون من المعقول أيضًا استخدام الفئات المتضمَّنة فى نموذج أفقى يختلط فيه المستخدمون والأنصار والأبطال فى إعادة تشكيل منظومة اقتصاد المعرفة الإسلامية. يمكن تكييف النموذج أيضًا، ذلك أن المستخدمين المختلفين على المواقع المختلفة سيسعون إلى أنواع مختلفة من العلاقات. على سبيل المثال، هناك اختلافات بين المستخدمين على المدى الطويل والمدى القصير؛ فالبعض يشتركون عن قرب فى بعض الأنشطة المتصلة بالموقع، بينما يحافظ آخرون على مسافة (جغرافية ودينية) بينهم وبينه.

يمكن أن تُحِدَّ مستويات الإلمام باستخدامات الإنترنت أيضًا من أنشطة التصفح، مثلما تفعل قيود التجهيزات التقنية المستخدمة وحواجز اللغة. يمكن للقراء البحث عن أشكال مختلفة من "المنافع" من استخدامهم للموقع. قد يكون موقع الويب المصدر الوحيد للمعلومات عن الإسلام للقارئ، وقد يستخدم البعض الآخر أسلوب المقارنة أو قد يكون مستخدمًا قلَّما يدخل على المواقع ومرافقها. وهنا تنطبق أيضًا أسئلة ما إن كان القراء يزورون موقعًا ما لأسباب الهداية أو المعلومات أو الالتزام أو الترفيه أو جميعها. يمكن للقراء الدخول خلسة إلى الموقع، أو يمكنهم المشاركة فيه بنشاط. يستدعى هذا قضايا هوية المستخدمين وعدم الكشف عن الهوية. المسلمون الافتراضيون متعددو الأوجه، دوافعهم متنوعة، ولا يجوز وضعهم

فى قوالب نمطية من حيث استخدامهم للإنترنت. وبالتفحص سنجد أن للمسلمين الافتراضيين علاقة تبادلية بنماذج الزعامة الدينية، التى عبر عنها ماكس ويبر وغيره داخل الحقول المرتبطة بدراسة الأديان.

واجهت منافذ الإعلام التقليدية فى السياقات المسلمة وغيرها تحديًا فى ظل الشعبية المتزايدة لمصادر الأخبار والمعلومات خارج نطاق سيطرتها. لنمو التطورات التكنولوجية المتكاملة الأخرى، وبخاصة الأجيال الجديدة من الهواتف المحمولة والمنتجات والخدمات ذات الصلة بواجهات الإنترنت، أثره أيضًا. ويمكن لكل هذه التكنولوجيات الاستفادة من سوق متنامية من المنتجات والخدمات الإسلامية.

يمكن أيضًا طرح الأسئلة عن مواقع متصفح ما، وعن مزود خدمة الإنترنت، وخدمات الكمبيوتر ذات الصلة، وأصحاب ومؤلف أو مؤلفى محتوى موقع ما، وأى صاحب فكر أو زعيم إسلامى. هل يتعامل المسلمون الافتراضيون مع المادة الإسلامية – السيبرية فى فضاء خاص أو فضاء شخصى أم فضاء غير خاضع للرقابة من قبل الأسرة أو المجتمع الأوسع؟ لاستخدام مقهى الإنترنت معانٍ مضمرة مختلفة تتعلق بالخصوصية، لاسيما فى السياقات التى يجرى فيها فلترة المادة على الإنترنت وطلب معرفة الهوية لدى استخدام الكمبيوتر.

لابد من النظر إلى الطرق التى يمكن أن تقدم الويب من خلالها الفرص للأفراد المهمشين للدخول على قنوات وتفسيرات جديدة للمعرفة الإسلامية من سياق أوسع. لمثل هذه الأساليب أثر على قراء جميع المواقع، ولاسيما تلك التى تحتوى على مواد حساسة مرتبطة بالقيم الدينية والتوقعات الثقافية المرتبطة بالمسلمين. قد يكون تجنب الفهم النمطى لهذا ذا صلة وثيقة بالموضوع؛ فربما يعمل المتصفح فى سياق علمانى، حيث يعتبر الحصول على معلومات عن الإسلام بمثابة نشاط مشبوه. أو ربما يعمل المتصفح فى سياق فيزيقى حيث تُفْرَض قيود حكومية أو مجتمعية تجعل من زيارة بعض المواقع نشاطًا خطيرًا أو غير قانونى أو كليهما معًا.

ويب ٢,٠ والمسلمون الافتراضيون

تتحول التكنولوجيا نفسها أيضًا نحو وضع يمكن فيه للمستخدمين توفير المحتوى وتوجيه "السوق"، لاسيما من خلال تطبيقات معينة مثل يوميات الفيديو والمدونات. تعرَّض مصطلح "ويب ٢,٠" للمبالغة في بعض الدوائر باعتبار أنه فجَّر حقبة إنترنت جديدة، رغم أن البعض قد يقول إن ويب ٢,٠ عفا عليه الدهر الآن وهناك لاحقات أخرى أكثر ملاءمة. ومع ذلك، أصبح المصطلح تقليدًا ضمن الخطاب عن الأنشطة على الإنترنت، ولذا، سيطبق مصطلح ويب ٢,٠ بحذر شديد لخدمة هدف هذا الكتاب. فكرت في إضافة علامة + بعد ٢,٠ للإشارة إلى التطورات المستمرة على الإنترنت التي وقعت منذ صياغة المصطلح لأول مرة، لكنني قررت أن هذا أمر مُضمر. قاومت أيضًا الميل في بعض الدوائر التكنولوجية للدخول في مزيد من التكرار: (ويب ٢,٠، ٣,٠، الخ).

يدمج ويب ٢,٠ الأدوات والمرافق المتنوعة، التي تطور الكثير منها عن طريق عنصر تعاوني وعلى أساس التفاعلات الندية. على هذا النحو، جاء تركيزها على مواقع الشبكات الاجتماعية، والمحتوى المقدم من المستخدمين، ونظم استرجاع المعلومات المحسنة والمتطورة. يُعتبر نظام البودكاست وغيره من نظم تسليم البيانات البديلة على الإنترنت، والأساليب الوظيفية المبتكرة، والتعاون على الإنترنت، وتطور مجتمعات الشبكات الاجتماعية أيضًا جزءًا من إطار ويب ٢,٠. الواضح أن هذه العناصر من ميديا الإنترنت تزيد الخيارات المتاحة أمام المسلمين الافتراضيين الذين اختاروا التعبير عن أنفسهم على الإنترنت.

ثمة رابط أيضًا مع ما يوصف بأنه "تقارب وجهات النظر" التي "تتراوح بين البحث في "تقارب الصناعة" إلى تقارب الوسيط، إلى تقارب تقنيات الميديا الفردية. يمكن أن يتضمن هذا الأمر "التقارب التكنولوجي"، حيث يُقدَّم المحتوى من خلال ميديا بديلة، إلى "التقارب الوظيفي" لأنواع الميديا. وهذا وثيق الصلة بالبيئات

الإسلامية السيبرية، حيث يمكن الآن تقديم المحتوى الإسلامى من خلال وسائل رقمية مختلفة.

يمتد ويب ٢,٠ إلى البيئات الإسلامية السيبرية. يتطلب هذا المصطلح الأخير، الذى قدمتُه لأول مرة فى كتاب "إسلامى افتراضيًا"، التعديل الآن. ويتماشى هذا مع تنويع مزودى المحتويات ما يوفرونه من استجابات وفقًا لاحتياجات القارئ والاستفادة من مجموعة عريضة لأنساق المحتوى. كما أنه أيضًا رد فعل لتكثيف التواصل الندّى فى السياقات الإسلامية، ولاقتصاد متحول لنقل المعرفة على الإنترنت، وإعادة تشكيل مفاهيم التسلسلات الهرمية كرد فعل للتفاعل على الإنترنت. ليس تغيير أنساق المحتوى إسلاميًا بالضرورة بأسلوب متفرد، بل يتداخل مع أشكال أخرى من التزويد بالمحتويات. على سبيل المثال، هناك عناصر من MySpace تمثل الهوية الإسلامية لكنها جزء من خدمة الشبكات الاجتماعية الأوسع. وهناك مزودو خدمات الأخبار مثل جوجل نيوز التى توفر خلاصات الآر إس إس وضبطها لتضم محتوى إسلاميًا. كما أن بإمكان وضع علامات على البيانات باستخدام مواقع فليكر وتكنوقراى وDel. icio.US وأدوات مماثلة أن تعرض مواد ذات هوية تركز على الإسلام. وتقدم إعلانات جوجل والخدمات المماثلة روابط لمنتجات ذات تيمة إسلامية، رغم أن المنتقدين قد يستخدمون روابط لمواد معادية للإسلام عن طريق رعاية مختلف عمليات البحث بالكلمات المفتاحية.

ليس لدى بعض المواقع ذات الصلة بالإسلام سوى مجموعات صغيرة من القراء وروابط محدودة. وهذه المواقع معرضة للخروج من دائرة البحث العادى. لظاهرة "الذيل الطويل"، كما عرّفها كريس أندرسون من قبل، صدى فى البيئات الإسلامية السيبرية، رغم أنها تستند إلى مفهوم نموذج البيزنس: "معادلة الذيل الطويل بسيطة: (١) كلما انخفضت تكاليف التوزيع، زادت القدرة على العرض اقتصاديًا دون الحاجة إلى التنبؤ بالطلب (٢) كلما زادت القدرة على العرض، زادت الفرصة

فى تحديد الطلب الكامن لأذواق الأقلية التى تعذر الوصول إليها من خلال التجزئة التقليدية (٣) جمِّع ذوق الأقلية بما فيه الكفاية، وغالبًا ستجد ... سوقًا كبيرة وجديدة.

يناظر الذيل الطويل الجزء الأسفل من رسوم البيزنس البيانية، حيث يتناقص الطلب تدريجيًا فيما يشير إلى أنه لا يزال ثمة سوق لأحد المنتجات مع مرور الوقت. وفى حين أن المصطلح الآن يدخل فى التيار السائد بل وقد يستخدم بشكل مفرط، فقد صدمنى هذا المفهوم عندما عرّفه كريس أندرسون فى مجلة "وايرد" فى ٢٠٠٤، بأنه ذو صلة بالحديث عن الإسلام فى الفضاء السيبرى. ناقش أندرسون كيف أن الزوار لدى دخولهم على موقع amazon.com من أجل منتج معين، يمكن أن يتأثروا بالتوصيات الخاصة بمنتجات أخرى ذات صلة فى صفحة ذلك المنتج المبتغىَ. وبالمثل يمكن أن تكشف النصوص التشعبية فى صفحة واحدة للقراء نطاقًا من المواد الأخرى التى تقع ضمن مجال اهتمامهم والتى لم يكونوا على علمٍ مسبق بها. أما تلك المواقع خارج التيار السائد، ذات العدد المحدود من الروابط، فقد يكون لها أثر أكبر وحصة سوق تراكمية مع مرور الوقت تفوق أثر وحصص بعض اللاعبين الرئيسيين. بطبيعة الحال، فى سياق البيئات الإسلامية السيبرية، فهذه ليست بالضرورة سوقًا للسلع بل سوقًا للأفكار؛ وعلى وجه الخصوص، قد ينطبق مفهوم الذيل الطويل على بعض مواقع الويب على هامش المصالح والهويات الإسلامية.

بإمكان الإنترنت أن يعكس المصالح ذات التمايزات الدقيقة لجماعات مسلمة محددة، والتى يمكن أن تصل عبر الذيل الطويل إلى مناطق شديدة الصغر. فعلى سبيل المثال، سعى موقع بيداد Piedad اللاتينو – أمريكى لتقديم الدعم للنساء اللاتى تحولن إلى الإسلام من تلك الجماعة اللغوية – الثقافية المعينة. كما قدم موقع "يهود من أجل الله» Jews for Allah الدعم لمن ينتمون للتراث اليهودى وأصبحوا

مسلمين. ركز موقع "يهود من أجل الله" على هامش يهودى فى أعماله، إلى جانب تقارير شخصية للتحول إلى الإسلام وقائمة مفصلة من الروابط المتعلقة بإسرائيل والخاصة بمنظمات حقوق الإنسان والجماعات الدينية المتعاطفة.

يمكن أن ينعكس تعزيز الهويات والقدرة على الربط على المستويات المحلية بالنسبة للمسلمين الافتراضيين. ولئن كانت الإشارة إلى قوى تحويلية تتعلق بقدرة الإنترنت على تحسين المجتمعات تعد من الكليشيهات، فقد تفيد فرص أفضل للدخول على الإنترنت بعض قطاعات المجتمعات المسلمة التى يرى بعض المراقبين أنها محرومة بسبب حواجز النوع (الجندر) أو الثروة أو كليهما. وبما يعكس الاتجاهات العالمية، يدخل عدد أكبر من المسلمين على الإنترنت يوميًا، ويشمل التوسع فى ذلك النشاط الآن إنشاء مقاهٍ للإنترنت داخل بعض المساجد. لن يفسر جميع المراقبين كل تطبيقات الإنترنت باسم الإسلام على أنها تطبيقات حميدة، لاسيما تلك التى فى المناطق التى لا تعد ولا تحصى من تلك المكرسة للنشاط والعنف السياسى باسم الإسلام.

وفيما يسهّل الإنترنت بالتأكيد انتشار قطاع أعرض من وجهات النظر المسلمة، يظل عدد من المناطق "مفقودًا". تظهر عناصر جديدة بانتظام، وغدت إدارة المعلومات مجالاً حيويًا بالنسبة لبعض وجهات النظر المسلمة. لا تحتفظ كل المواقع بأرشيفات لصفحات الويب يمكن الدخول عليها أو للوثائق السابقة أو تحفظ المواد الرقمية مثل خدمات الأخبار. ثمة غياب للمكتبات المركزية المتطورة للمعرفة الإسلامية على الإنترنت. هذه هى المجالات التى يمكن أن تشهد تغييرًا، بحيث تعكس تطوراً مطرداً فى قواعد البيانات ومستخدميها، مع الحفاظ على المواد بأنساق ميسرة للمستخدمين فى المستقبل، مولّدة بذلك شعوراً متماسكًا بالهوية والتواصل عبر الإنترنت والذى يمكن فلترته إلى الحياة "خارج الإنترنت".

بالإمكان توجيه القراء إلى أحد العناصر الأساسية بأحد مواقع الويب. على

سبيل المثال، قد يصل القراء إلى شرح قرآني من خلال محرك البحث بالكلمات المفتاحية. ومن خلال هذا، يمكن حفزهم لزيارة مناطق أخرى من موقع ما لمزيد من تطوير معارفهم الدينية وقاعدة خبراتهم. وقد يشمل ذلك فرصًا للتفاعل وبناء الانتماء مع منظمي الموقع والقراء الآخرين. وكما هو الحال في مناطق أخرى من الويب، قد تتوفر لأحد المواقع التي تطبق اعتبارات التصميم المهنية والمحتوى الذي يجري تحديثه بصورة متكررة فرصة أفضل لاكتساب ولاء القارئ وعودته للزيارة، حيث يصبح موقعًا "لزجًا".

أسرة هي الأساليب التي تُصَمَّم بها مواقع الويب لتعكس مسوغاتها الإسلامية. في بعض الحالات، يعني هذا الجمع بين عناصر من أشكال الفهم الإسلامية التقليدية للفنون والخطوط وبين رمزية ديناميكية ومتناسقة، مستمدة من مجموعة متنوعة وغنية من مختلف السياقات والمصادر. ربما يكمن ما يجعل الموقع إسلاميًا في عين المتصفح الفرد نفسه، خصوصًا عندما يكون المحتوى عرضة للنقد أو حينما يعكس وجهات نظر قد يصفها بعض المسلمين بأنها تجديفية، أو منشقة أو مهرطقة، أو غير ذلك بالتقابل مع تفسيراتهم ومفهوم معتقداتهم.

يمكن التشارك في عناصر الهوية والسلطة ضمن جماليات التصميم الفني والواجهة الجرافيك بين المواقع، والتي تتباين خلافًا لذلك بصورة كبيرة من حيث الروح الخاصة بها. على سبيل المثال، قد يكون هناك تركيز على اللون الأخضر باعتباره اللون المفضل لدى النبي. وربما يكون ثمة استخدامات للموتيفات الإسلامية الشمولية. أتردد في استخدام مصطلح "الأيقونات" بمعناها المحدّد في الإنترنت عند مناقشة الإسلام، حيث يتحدث القرآن بشدة ضد الأيقونات (عند استخدام هذا المصطلح بمعناه الديني).

ثمة بعض مؤشرات الهوية الأساسية التي يمكن استخدامها في نموذجٍ لموقع ويب إسلامي. قد تتضمن تصميمات الصفحة صوراً مرجعية محددة، مثل صور

الكعبة ومكة والمدينة والقدس وغيرها من الأماكن الإسلامية الشهيرة. وربما تشمل العوامل المرتبط بها الخط القرآنى، والمستمدة غالبًا من أمثلة شهيرة لطراز معين أو تمثل أسماء أو مصطلحات أو عبارات مهمة (على وجه الخصوص، "الله" و"محمد"). ويمكن فى كثير من الأحيان أن نجد رسومًا توضيحية للقرآن، يظهر فيها الخط القرآنى أو كتاب مفتوح على حامل، وذلك بصورة متكررة فى البيئات الإسلامية السيبرية.

تمتزج الألوان الإسلامية مع تيمات محدِّدة لانتماءات وتفسيرات مفردة. فى بعض الحالات، يمكن أن يكون هذا صورة لأحد القادة، رغم أن بعض المفسرين المسلمين يدينون تصوير الشكل البشرى. وبدلاً من ذلك، قد يصور موقع ما مكانًا مقدسًا إقليميًا، مثل مقام أحد الأولياء. تتباين تعريفات المِلْكِيَّة والهوية الإسلامية، حيث تُمَثِّل صراعات الأفكار واختلافها فى العالم غير الرقمى. أشار الوجود المستمر لآراء الأقلية، خارج التيار السائد، إلى أنه وفى بعض الحالات، يمكن للفضاء السيبرى أن يوفر مساحة آمنة نسبيًا للتعبير الدينى غير التقليدى.

ليس ثمة بيئة إسلامية سيبرية نمطية، لكن هناك بعض العوامل المشتركة، وخصوصًا على بوابات المواقع ذات المستوى الأعلى. قد تضم هذه العوامل إشارة إلى أركان الإسلام عند تقديم تفسير للإسلام للقراء. يمكننا أن نتوقع أن يُظْهِرَ موقع ما روابط لمصدر قرآنى أو مواد تفسيرية ذات صلة أو معلومات عن فرد أو منظمة وراء الموقع. كما تُرْبَطُ المواقع جيدة الموارد بعناصر من الأنشطة الإسلامية المحددة على الإنترنت، مثل غرف الدردشة والمناقشات الخاضعة للإشراف والخطب والمحاضرات ومحتوى الوسائط المتعددة. وتمثل هذه العناصر أنماط اكتساب المعرفة التى تتمتع بعلاقة معقدة مع مفاهيم التعليم الراسخة والتقليدية. عرضتُ الجوانب المرتبطة بالبيئات الإسلامية السيبرية فى رسم تخطيطى، يمكن الاطلاع عليه بالتفصيل فى موقع Virtuallyislamic.com.

تكوين الشبكات: إقامة روابط الإسلام ٢,٠

يوضح الرسم البيانى الذى أشرت إليه أن أشكال ميديا الإنترنت الجديدة المرتبطة بويب ٢,٠ تؤثر على البيئات الإسلامية السيبرية. يمكن إقامة شبكات الارتباط من خلال غرف الدردشة والمدونات ومواقع رفع الفيديو والپودكاست وخدمات الشبكات الاجتماعية، بدرجات متفاوتة، فى سياقات إسلامية – سيبرية تقليدية.

يوضح ذلك الرسم البيانى خطوط هذه السلسلة الديناميكية والناشئة من الربط عبر الزمان والمكان، والتى تتشابك فى حد ذاتها مع الأطر والأساليب التفسيرية الأخرى للإسلام والإنترنت. يُدْعَى من حيث الممارسات التعاونية، القراء لاقتراح تعديلاتهم على الرسم البيانى عن طريق ويكى موجود على موقع Virtuallyislam-ic.com. سوف تُدمَج هذه التعديلات فى وثيقة مصدر مفتوح مشتركة، فى عدد الإصدارات، التى نأمل أن تمثل مساهمة لفهمنا للعوالم الرقمية الإسلامية. لابد من النظر إلى الرسم البيانى نفسه بالإشارة إلى التطورات المعاصرة المرتبطة بمشاركة المسلمين الافتراضيين فى اقتصاد المعرفة الإسلامية.

حافظت مواقع الويب الإسلامية البارزة على وجودها على الإنترنت لعدة سنوات، سعت خلالها إلى اجتذاب جمهور ملم بالويب تمثل بالنسبة لهم بيئة طبيعية للحوارات حول التعبير الدينى والمرجعية الدينية. تُمثل الأساليب التى يحدث من خلالها توسط هذه المواد الاختلاف لكنها تستعين بأنماط مألوفة. يمكن أن يُحْدِثَ كل حدث يقع داخل سياق إسلامى أو ينجم عنه أثرًا مضاعفًا على الإنترنت، لأنه ينعكس فى المدونات، ومدونات الفيديو، والپودكاست، ومواقع الأخبار، وغرف الدردشة وغيرها من مناطق الويب الأخرى.

وفَّر انتشار مواقع الشبكات الاجتماعية التى دخلت إلى هذه المعادلة طريقة سريعة وسهلة لإنشاء موقع ويب أو مدونة، وتوزيع الوسائط المتعددة، والتواصل مع

الأقران، وإدماج الأدوات الإلكترونية والرقمية الأخرى. نَحَتَ هوارد راينجولد، وهو مراقب بارز للتطورات على الإنترنت، مصطلح "الغوغاء الذكية" لتعريف مثل هذه الأنشطة: "تقوم مواقع الشبكات الاجتماعية بعدد من الوظائف بالنسبة لمستخدميها؛ فهى فى جزء منها مذكرات، وفى جزء آخر سجل للاتصالات التى يمكن مشاركتها، وفى جزء ثالث نادٍ اجتماعى. بالنسبة لجيل من المراهقين، أصبحت هذه الشبكات وبصورة متزايدة لا تقل أهمية عن ملكية الهاتف المحمول". تم التعبير عن هذا بنبرة إيجابية، رغم أن بعض المراقبين يرى أن "الغوغاء الذكية" يمكن أن يكون لها جانب سلبى أيضاً، بالتركيز على مقطع "غوغاء" من المصطلح.

تشمل الأمثلة البارزة لمواقع الشبكات الاجتماعية ماى سبيس MySpace، Spaces.MSN، وبيبو، وفيس بوك، وفليكر، وSecond Life سكند لايف، وسايورلد يو إس Cyworld Us (أنشئ على غرار شبكة كورية شعبية). تقوم جميع هذه المواقع بوظائف مختلفة، وقد يكون للفرد صفحات على عدة أنواع من مواقع الشبكات الاجتماعية التى ترتبط ببعضها. ويتضح من قراءة الصفحات الشخصية للمشاركين المسلمين أنهم لا يخشون بالضرورة من نشر تفاصيل تافهة كى يستهلكها القراء، أو أنهم على غير دراية بالعواقب المحتملة لذلك. تشمل هذه التفاصيل تواريخ الميلاد، وأماكن محل الإقامة، والتعليم، والذائقات والتفضيلات الشخصية، وفى بعض المواقع القائمة على غرار بعض النماذج، نجد إجابات على أكثر من ٥٠ سؤالاً شخصياً.

تميل بعض مواقع الشبكات الاجتماعية نحو الاستخدام الكثيف لرسوم الجرافيك والخلفيات الصارخة؛ بينما يستفيد البعض الآخر من زيادة عرض النطاق الترددى فى تقديم الوسائط المتعددة بإلحاح فى أغلب الأحيان. وربما تتجاهل مواقع الشبكات الاجتماعية مفهوم تصميم الويب الذى يمكن الدخول عليه والأثير لدى مصممى الويب المحترفين. تقدم الصفحات روابط لمختلف "الأصدقاء" الذين يتشاركون فى الاهتمامات المتشابهة.

لم آخذ سوى عينة عشوائية من بين عشرات الآلاف من الخيارات الممكنة لمثل هذه المواقع. تشير العينة إلى أن ملامح المسلمين الافتراضيين يمكن أن تكون واسعة المدى. ففي ماى سبيس، ذكرت فتاة "سعودية-باكستانية مولودة بالولايات المتحدة" تبلغ من العمر ١٦ عامًا وتعيش في ولاية تكساس تفاصيل مطولة عن اتصالاتها، وصورها، وملفات الفيديو؛ كما أوردت أسماء صديقاتها ومدرستها وأنشطتها. على صفحة أخرى من ماى سبيس، أشارت صاحبة الصفحة زهرة المحجبة إلى روابط لمدونات أخريات يرتدين زيًا مماثلاً. بينما شملت صفحة إيلانا المسلمة في ماى سبيس صورًا عائلية وصورة لامرأة محجبة تلعب الجيتار الكهربائي من فرقة البرقع، وهو فريق روك أفغاني.

ما زال خليط معقد من المؤثرات عبر الثقافية والدينية قائمًا. قدمت صفحة أخرى على ماى سبيس روابط لمواد الحديث والقرآن، ومناقشات ذات توجه صوفي (تعرض مواد عن الصوفي البارز ناظم عادل الحقاني)، وقائمة كتب تتضمن الكاما سوترا (السانسكريتية)، وصورة للكاتبة مرتدية الحجاب مع تعليق يقول: "هل تعتقد أنني ساخنة، كذلك جهنم. غض بصرك!"

قدمت "محجبة" نفسها في هيئة كارتونية على ماى سبيس، وهي ترتدي الحجاب وتحمل راية سلام مع رمز لحملة نزع السلاح النووي. يُرْبَط الموقع بصفحة تفتح على قراءة قرآنية باللغتين الإنجليزية والعربية. وأظهرت صفحة "محجبة" صورًا ومعلومات مرتبطة بالقضايا الفلسطينية والإسلامية؛ وناقشت فرق الروك بانك المفضلة؛ وقدمت روابط لبرامج تليفزيونية مثل "التحقيق في مواقع الجريمة" Crime Scene Investigation، وقائمة بأهم الكتب، من بينها روايات لآن رايس إلى جانب القرآن ونصوص إسلامية أخرى. ذكرت "محجبة": "أنا أتطلع إلى التعرف على أصدقاء جدد مهتمين بالإسلام. خصوصًا الأخوات المحجبات. من الصعب العثور على صديقات صالحات! لا أريد إضافة أي رجال إلى موقعي! أنا متزوجة

ولا أريد أن يكون لى أصدقاء ذكور! برجاء احترام هذا يا جماعة! آسفة. إذا كنت لا ترغبين فى وجود صداقة نشطة، وترك تعليقات ورسائل وما إلى ذلك، فلا تُضيفينى".

بالنسبة لإتيكيت الإنترنت، تمثل الكتابة بالحروف (اللاتينية) الكبيرة Capital letters "الصراخ" على الإنترنت، فى حالة لم يستوعب الزوار الرسالة. الفصل بين الجنسين واضح ويستند إلى قواعد الممارسة المستمدة من القرآن والمصادر الإسلامية الأخرى.

هناك مستويات عالية من التفاعل بين "الأصدقاء" على ماى سبيس وغيره من مواقع الشبكات الاجتماعية، كما أن مفهوم الدردشة المتكررة والتحديثات بين الحين والآخر ذو أهمية خاصة. يطرح مقدار التفاصيل الشخصية بعض المشكلات الأخلاقية المثيرة للباحثين والكتاب حول موضوع الفضاء السيبرى الإسلامى، يصل فيها إلى نقطة وجود خطر تحول مثل هذا النشاط إلى نشاط متلصص وفضائحى. من الواضح أن هذه المعلومات موجودة فى المجال العام، ومنشورة على الإنترنت، لكن يأتى وقت عندما يُحتمل المرء أن يشعر فيه بأن الوجود "الكامن" للباحث اقتحامى. لكن ماى سبيس ليس منطقة مغلقة فى الويب. هل هذا يعنى أن المشاركين المسلمين على ماى سبيس يتحدون مفاهيم الفضاء الشخصى ويعدلونها لتتواءم مع القيم الدينية؟ هذا احتمال. ومع ذلك، فمن المرجح أنه يمثل نشاطًا دافعه المرح والاتصال بين الأقران.

ظهر MuslimSpace، وهو موقع شبكات اجتماعية إسلامى، فى ٢٠٠٦ بنسق يماثل مواقع الشبكات الأخرى، ولكن بتوجه نحو الحلال. أسس MuslimSpace محمد الفطاطرى، الذى كان يعيش فى فنلندا لكنه من أصول إماراتية ومصرية. وفى ٢٠٠٦ ادعى MuslimSpace أن لديه ما يقرب من٢٠ ألف مستخدم، يعيش غالبيتهم بالولايات المتحدة.

تشير أدوات الشبكات الاجتماعية فى ماى سبيس والمواقع الأخرى إلى نموذج واحد من التفاعل سيكون له أثر على البيئات الإسلامية السيبرية. قد تكون هناك بعض القيود الكامنة أو المضمرة؛ حيث إن ماى سبيس موقع ذو توجه شبابى، وربما شعر المستخدمون الأكبر سنًا بعدم الارتياح لأسباب دينية وغيرها للتواصل فى هذا السياق المراهق. مسألة الحدود العمرية داخل الفضاء السيبرى مسألة ينبغى تفحصها، حيث لا يوجد نظير حقيقى لماى سبيس بالنسبة للمتصفحين كبار السن. بدأ النمو الهائل لفيس بوك فى ٢٠٠٧، عندما وَسَّعَ قاعدة مستخدميه، وقدم اعتبارات جديدة بالنسبة للبيئات الإسلامية السيبرية مع ظهور شبكات مصالح المسلمين وقنوات المعلومات متناهية الصغر.

ومع امتداد مفهوم مواقع الشبكات الاجتماعية إلى وسائل إعلامية أخرى والتوسع فى مشاركة المستخدمين، ستصبح هذه القضايا ذات أهمية متزايدة داخل البيئات الإسلامية السيبرية. توجد ضمن البيئات الافتراضية أيضًا مناطق إسلامية. أظهر "سكند لايف" مسجداً، وفى ٢٠٠٧، خيمة رمضانية برعاية موقع "إسلام أون لاين" التى نُظِّمَت بها الفاعليات الثقافية والدينية. هاجم الخيمة اثنان من الزائرين الذكور، تحرشا بأفاتار (تجسيدات) لزائرات مسلمات ظهرن فى ذلك الوقت. وبالرغم من هذا، كان "إسلام أون لاين" يقصد زيادة أنشطته على "سكند لايف". كانت هناك أيضًا مساجد أخرى فى "سكند لايف" أتاحت الفرصة للصلاة، وفى إحدى الحالات، أقيمت شعائر الوضوء. من خلال زيارتى لأحد مساجد "سكند لايف"، اتضح لى أن الفصل بين الجنسين لم يكن قضية مطروحة. طلبت أنثى محجبة من أفاتارى الذى يرتدى ملابس كاجوال الدردشة معها فى عدة مناسبات، بينما كان يرتاد بعض المناطق بالمدينة. شملت "الصلاة" فى المسجد الكبير المتأثر بالطراز القرطبى هدية من القرآن الرقمى، لكنه كان نشاطًا انفراديًا. كما كانت زيارات ليلة العيد فى رمضان إلى خيمة "إسلام أون لاين" نشاطا هادئا أيضًا.

الواضح أن التفاعل عبر الإنترنت لم يحل محل الحاجة الى التواصل الاجتماعى "الحقيقى"، أو ربما كان للزوار المحتملين أنشطة فى مناطق أخرى من الإنترنت.

يعرض يوتيوب عدداً من مقاطع الڤيديو ذات تركيز إسلامى. يمكن إدراج ملفات الڤيديو على يوتيوب عن طريق قص ولصق كود HTML مباشرة فى مواقع أخرى. من أعلى ملفات الڤيديو التى حصلت على ترشيحات كان ڤيديو "معجزات الإسلام"، وهو مجموعة من الصور المنتجة، وتشمل نباتات وسحب تتخذ هيئة اسم الله باللغة العربية، إلى جانب صور لمسلمين فى سياقات متنوعة. كما رُفِعَ عدد من ملفات الفيديو التى تركز على الدعوة على يوتيوب MuslimSpace، انضم الداعية عمرو خالد إلى فنانى "الأناشيد" الشعبيين ٧٨٦ وفرقة Shaam. يمكن أيضًا العثور على كثير من ساعات الوعظ الشعبى لعمرو خالد على الموقع، التى تندمج مع استراتيجية مؤيديه الإعلامية الأوسع. ويمكن للأفراد أيضًا أن يجدوا جمهوراً عريضًا لتفسيرهم للقضايا الإسلامية من خلال يوتيوب. منحت "أفلام الأمة" منفذًا لعدد من المتحدثين حول قضايا شائعة من خلال يوتيوب وغيره من مواقع الأفلام، والتى وَلَّدَت الاهتمام بها من خلال أسلوبها الجماهيرى وفى بعض الأحيان الفكاهى تجاه القضايا المعاصرة.

ضمت بوابة Digita LHalal عدداً من الخدمات، من بينها الاندماج مع MuslimSpace وتوزيع ملفات الفيديو والملفات الصوتية والمدونة وألبومات الصور والدردشة. تعرض هذه الخدمات محتوىً تعاونيًا منتجًا بشكل جماعى وتشير إلى وسيلة للمضى قدما بمواد ويب ٢,٠ المرتبطة بالبيئات الإسلامية السيبرية. وواصلت هذه المجموعة المتطورة والمبتكرة من المواقع، المدعومة بالإعلانات والتبرعات، تطورها منذ إنشائها. وأهم هذه المواقع موقع IslamicTorrents.com وهو فى الأساس خدمة لرفع وتحميل محتوى الفيديو والصوت على غرار موقع BitTorrent لمشاركة ملفات الفيديو.

يُصْدِر IslamicTorrents تصريحات متواصلة لإخلاء المسئولية بشأن قضايا حقوق الملكية المرتبطة بالمواد التى يتم رفعها إلى الموقع، خاصة تلك المتعلقة بالمنتجات التجارية. وهذا لا يمنع المستخدمين الذين يشكلون بفاعلية طبيعة ومنتج IslamicTorrents من رفع هذه المواد. يتضمن نطاق المحتوى تلاوة للقرآن الكريم وأفلاماً لخطب دينية وأفلاماً وثائقية. بعض هذه الملفات مستمدة من مواد لها حقوق للبث، فى حين أن هناك نسبة من الملفات يصممها المستخدمون. تقع المسئولية فى IslamicTorrents على المستخدمين لرفع محتوى يماثل قدر ما يقومون بتحميله. يمكن النظر إلى العملية على أنها معقدة من الناحية الفنية بالنسبة للمستخدم العادى، مما قد يحد من عدد مستخدمى هذه الخدمة.

موقع IslamicVideos.net أقل تعقيداً من الناحية الفنية، حيث يشمل عدداً من ملفات التلاوة وكليبات الفيديو. من بين أكثر المقاطع التى تم تحميلها بشكل متكرر فيديو "شيخٌ توافيه المنية فى مسجد"، وهو فيديو لوفاة إمام مسجد أثناء قيامه بالخطبة. على أحد المستويات، يبدو هذا الفيلم اقتحامياً؛ وعلى مستوى آخر، يشير إلى تدين الشيخ وورعه، حيث إنه كان منخرطاً فى أداء الفرائض الإسلامية حين وفاته. يمكن النظر إلى هذا باعتباره معادلاً لأولئك الأفراد الذين يموتون أثناء أداء "الحج" وينظر إليهم باعتبارهم "شهداء". يمكن لزوار IslamicVideos رفع كليبات الفيديو القصيرة وتحميلها، وإرسال رسائل بالبريد الإلكترونى لأصدقائهم عن الكليبات المفضلة، والبحث عن ملفات الفيديو حول موضوعات محددة. ولقى كليب مثل "لطيف للغاية" لصبى مغربى صغير فى ألمانيا يتلو سوراً قصيرة من القرآن رواجاً فى أنحاء كثيرة على الويب. ومع انتشار الهواتف المزودة بكاميرات فيديو صار المزيد من التوسع فى هذا النوع من المواقع أمراً حتمياً.

يتخذ ألبوم الصور Muslimr أساساً له مبادرة مدونة الصور "فليكر" ويضيف عليها مسحة حلالاً. هذه البوابة يسهل البحث فيها، وسهلة الاستعمال، ويسهل

تصفحها. ويمكن الحصول على معلومات عن تحديث الصفحات عن طريق الآر إس إس. هناك تلاقح بين المواقع حيث يربط الإعلان الإلكترونى بين المجالات المترابطة. يوفرDigitalHalal نموذجًا تحتذيه مواقع أخرى، حيث يمكّن من درجة عالية من التواصل والتفاعل. كان هذا فى الأساس مرحلة مبكرة فى تطور نموذج للشبكات الاجتماعية الإسلامية، والتى تتمتع بإمكانية التوسع السريع. وكان مؤسس الموقع محمد الفطاطرى يخطط لدمج كل مواقعه فى حزمة واحدة تحت عنوان "Muxlim".

بالإمكان أيضًا دمج البودكاست فى معادلة البيئات الإسلامية السيبرية. فى ٢٠٠٦ كانت البودكاست الإسلامية مقتصرة على عدد صغير من التلاوة القرآنية وأحد المواقع لتقديم المشورة، إلى جانب تحميل MP3 لخطب مسجلة. أحد الاستثناءات لهذا النموذج هو موقع alt.muslim، الذى أنتج بودكاست محدداً فى هيئة مجلة دورية عرضها وأنتجها شاهد وزاهد أمان الله، اللذان يقيمان فى أوستن بولاية تكساس ولندن على التوالى. تتناول البرمجة الأحداث الجارية، والمقابلات، وتعليقات على أسلوب الحياة. يقدم هذا الشكل، خاصة عندما يمكن تحميل وتحديث البودكاست تلقائيًا عن طريق الآر إس إس، نموذجًا لمقدمى وسائل الإعلام الأخرى فى البيئات الإسلامية السيبرية. كانت مجلة كيو نيوز تعمل فى لندن على تطوير خدمة البودكاست الخاصة بها، معتمدة على مواد أرشيفية. أما "الطريق الأوسط الراديكالى" The Radical Middle Way الذى اشتركت مجلة كيو نيوز فى رعايته، فقد قدم بودكاست على موقعه على الويب بالاعتماد على علماء مسلمين. شارك الكثير منهم فى جولة فى المملكة المتحدة فى ٢٠٠٦، سُجِّلت خلالها خطبهم.

دخلت الميديا السائدة أيضًا إلى المجال، عندما قدمت صحيفة "الجارديان" بودكاست إسلاموفونى. أنشأتُ قائمة بودكاست على موقعى، لكنه اقتصر على حوالى عشرين مصدراً فى ٢٠٠٧. وبالنظر إلى السهولة النسبية التى يمكن بها

إنتاج المنتجات السمعية وتجميعها، ومع إدماج حزم التحرير فى البرمجيات، فسوف يتوسع هذا الشكل فى المستقبل، كما أننى كنت على دراية بمنظمات وأفراد آخرين يُعدون بودكاست إسلاميا.

بالإمكان أيضًا الإحالة إلى روابط تجارية مباشرة (مثلاً إلى Amazon)، وتوسيع المناقشة إلى السوق الأمر الذى قد يجلب قدرًا قليلاً من الدعم المالى لمنتج المحتوى. ورغم أن عددًا قليلاً من الناس يريد أن يعمل مدونًا بأجر، فمن الواضح أن الكثير يقضون عدة ساعات أسبوعيًا، أو بأسلوب آخر، مئات الساعات سنويًا من أجل استمرارية مدوناتهم أو مواقعهم على الويب. يمكن أن تكون أدوات التدوين بسيطة، لكن الكم الهائل من المعلومات المحتملة قد يجعل التدوين نشاطًا يتطلب قدرًا كبيرًا من العمل. تتطلب بعض المواقع صيانة عالية، وخاصة بالنسبة للإعداد الأوّلى بل وأيضًا فى جميع مراحل وجودها، حينما تصبح إدارة تعليقات القراء والإشراف الفنى أمرا متطلبا.

تتخذ اللقاءات على الإنترنت أشكالاً مختلفة. يتزايد التفاعل البصرى السمعى على الإنترنت، مما يشير ضمنيًا إلى ديناميكية جديدة لبناء علاقة بين المسلمين الافتراضيين. من أمثلة التفاعل التعامل مع عالمٍ ينتمى إلى سياق أو ثقافة أو مجموعة لغوية مختلفة، فى معرض تقديمه لأشكال فهم جديدة وتأثيرات محتملة. وكما هو الحال مع أى وسيط، يمكن للقراء الاستفادة من مصادر متعددة، دون أن يتأثروا بالضرورة بأول رأى يقابلونه. وقد لا يجد البعض العملية تنويرية أو مفيدة. بينما قد يختبر آخرون تلك البيئة ليعودوا إلى الحوارات التقليدية والعلاقات مع المرجعيات التقليدية.

التجربة الإسلامية على الإنترنت قد تضم مصادر دينية، وعوامل باطنية، وعناصر غير ملموسة، وخبرات دينية، ومراحل انتقالية، وطقوس المرور، وآراء دينية، ومفاهيم عن السلطة وتمزجها. وقد تُقَدِّم الدافع للأنشطة الدينية من خلال

أشكال الهداية، أو الوعظ، أو اللقاء، أو الخطب، أو موارد الدراسة من خلال الإنترنت. وربما تكون المعلومات عن الإسلام مفتوحة المصدر مفيدة للعديد من المتصفحين. ويمكن بالفعل أن يتواجد هذا فى مجموعة متنوعة من المصادر والسياقات، من بينها ويكيبيديا التى صدرت نسخة إسلامية لها فى ٢٠٠٦، بعنوان OpenIslampedia.

ومع الوقت، يصبح بعض القراء أنفسهم مشاركين وكُتَّابًا للمحتوى على الإنترنت أو يقومون بأدوار متعددة على الإنترنت. سَهَّلَ تطور التدوين الوصول إلى النشر على الويب لآلاف المعلقين على هذه القضايا وغيرها الكثير، رغم أن لبعض المدونين بطبيعة الحال واجهات أكبر من غيرهم. كما تنتشر أيضًا المواقع منخفضة المحتوى، والصفحات الفارغة، بل و"مدونات السبام" "Splogs" (وهى مدونات تتمحور حول "السبام" Spam وتهيمن عليها الإعلانات) فى هذه المنطقة، مما يجعل القيام بحسابات موثوق بها للمشاركة والمحتوى أمرًا مشكلاً. وفى خضم كل هذا، يمكن أن تعرض أصوات فى عالم التدوين الإسلامى وجهات بديلة ونقدية للسلطة الدينية بشتى اللغات، أو تركز على التفسيرات الأساسية. ولا يمكن القول إن كل هؤلاء المدونين يكتبون بالضرورة بشكل مباشر أو غير مباشر عن القضايا الدينية أو باعتبار الإسلام الدافع الأول فى تفكيرهم.

تعليق ختامى

الإسلام مثل الإنترنت، ليس غربيًا ولا شرقيًا. تقدم الشبكات الرقمية العالمية منفذًا طبيعيًا للاتصالات، تطورت عن أشكال أخرى من الخطاب الإسلامى. تبين البيئات الإسلامية السيبرية أن المسحات الروحية تتضفر مع المسحات السياسية، مما يعكس أنماط الفهم الإسلامى التاريخية. انتقلت قوة القرآن من خلال هياكل رقمية مبتكرة لا تقلل من معنى المقدس العميق، الذى يُعَبَّر عنه على الإنترنت بنفس القدر الذى يُعَبَّر عنه فى المسجد.

وتتمتع الرموز والمفاهيم الإسلامية المألوفة للأجيال السابقة، والتى تمتد عودةً إلى الجماعة المسلمة الأولى، بفضاء دينى إبداعى وتطورى رقمى ديناميكى، يعكس أيضاً الأركان المركزية للمعتقدات الإسلامية. يتصل المسلمون الافتراضيون أو المسلمون السيبريون بتراثهم المعرفى والتواصلى، لكنهم يطبقون واجهة إلكترونية تسهل ارتباطهم والوعى ببعضهم، وربما بشكل ما، مع المقدس.

سوف تستكشف الفصول التالية التعقيد الكامن فى الشبكات الإسلامية على الإنترنت – من حيث تطورها السريع وتفاعلاتها المنتشرة – من خلال عدد من الفلاتر والمقاربات المختلفة والتى تمثل حقيقة أن المسلمين فى العديد من السياقات يستجيبون للأساليب التى يتحول بها اقتصاد الإسلام المعرفى من خلال أنساق التواصل المتطورة، والتعاون بين الأقران، والشبكات الإسلامية المتحولة.